المنتصرون

تأليف

نبوية محمود



المنتصرون



الناشر : دار الأمل

العنوان : ٨ شارع عبد العزيز حامد ـ أول الملك فيصل ـ الهرم

تليفون : ٥٨٦٠٨٩٢

رقم الإيداع : ٨٠٢٤ / ٩٨

الترقيم الدولي : 977 - 5823 - 17 - x

طبع : مطابع الوادى الجديد

العنوان : دار السلام

جمع وإخراج وتصميم الغلاف : أرمس للكمبيوتر

٣٢ ش على عبد اللطيف ـ مجلس الأمة ـ لاظوغلى

تليفون ٣٥٦٤٤٠٤

الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م

المقدمة

المعارك كثيرة ولكن يْعقد النصر لمن أدار المعركة بفهم وذكاء ومعرفة .. والتاريخ يحدثنا عن مئات المعارك التى خـاضها قادة الإسلام لإعلاء رايته وتثبيت أقدام دعوته.

ولقد برز من المـعارك رجال أداروا المعـارك بذكاء، ذكره لـهم التاريخ فأكبر جهدهم وتناقلت سيرهم عـبر الزمان، فكانت نبراساً يستضاء به فى الليل الحالك،ومناراً يهدى إلى طريق الحق والرشاد.

المؤلف

خالد بن الوليد
سيف الله المسلول

كان أبوه أحد أشراف قريش فى الجاهلية . ولقد شهدت مكة خالد بن الوليد بن المغيرة أنبل فتيانها وأشجع فرسانها حيث كانت له المنزلة الرفيعة بين رجال قريش وهو لم يبلغ بعد سن الرجال .

عند ظهور الإسلام كان الوليد بن المغيرة ـ والد خالد ـ من أشد أهل مكة محاربة له ، واضطهادًا لأتباعه فقد كان أحد رءوس الشرك ، فلما مات متأثرًا بمرضه تطلع خالد من دون إخوته إلى احتلال مكانة أبيه ، وكان المشركون حريصين أشد الحرص على بقاء خالد بينهم بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ، وكان أول لقاء بين جمع المسلمين وجمع المشركين فى ساحة القتال (بدر) وكان خالد أحد ألوية الشرك كما كان أخوه الوليد بن الوليد بين المقاتلين .

وشاء الله أن يؤسر الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد فى غزوة (بدر) وحين خيّر النبى ﷺ أسرى بدر بين الإسلام أو أن يفتدى الأسير أهله سارع خالد إلى افتداء أخيه .

فلما رجع إلى مكة فوجئ خالد بإعلان أخيه الوليد إسلامه فى مكة أمام كل أهل الشرك والضلال والوثنية .

وعندما سأله خالد فى ذهول واستغراب عن سبب إسلامه فى مكة ؟ ولماذا لم يسلم وهو بين المسلمين فى المدينة ؟ قال الوليد : لقد رأيت من معاملة المسلمين لى، فى الأسر ما لم ألق من أقرب الناس لى، ولكنى خشيت أن أسلم فى المدينة فيقال إنى أسلمت خوفًا من الأسر .

وكانت ثورة خالد عظيمة لما حدث من إسلام أخيه الوليد بن الوليد بن المغيرة ؛ وكان خالد على رأس فرسان المشركين في غزوة أحد ، وهو الذى ألتف بجنده حول المسلمين لما خالف الرماة من المسلمين أمر رسول الله ﷺ ، وعندما خرج المسلمون لزيارة بيت الله الحرام فى عام (الحديبية) توجَّه خالد على رأس جيش من المشركين لرد المسلمين عن المسجد الحرام وقد أدركهم خالد وهم يصلون والنبى ﷺ يؤمهم ، وكان لهذا المشهدِ الرهيبِ أثرُه فى نفس خالدٍ ولم يمض وقت طويل حتى أرسل له أخوه الوليد يدعوه إلى الإسلام ويخبره أن رسول الله ﷺ سأل عنه وقد جاء خالد بين يدى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه قبل فتح مكة ، وكانت أولى كلمات خالد :

يا رسول الله قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن فى حرب الإسلام فادع الله أن يغفر لى كل ذلك يا رسول الله صلى الله عليك .

فأجابه النبى الكريم ﷺ مطمئنًا قلبه :

« إن الإسلام يمحو ما كان قبله يا خالد » .

وعندما ألح خالد مؤكدًا رجاءه فى مغفرة الله له دعا له الرسول ﷺ فقال : «اللهم أغفر لخالد كلَّ ما قَدَّمَ من صَدٍّ عن سبيلك » .

وهكذا تحول خالدٌ من قائدٍ لجيش المشركين إلى قائد لجيش المسلمين ، وسيف مسلول من سيوف الله .

وشهد بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يخرج مقاتلاً فى صفوف جند الله .

غزوة مؤتة

غمس نور الإسلام أرجاء قلب خالد وبعد ذلك دخل فى كثير من المعارك جعلته بحق سيفًا من سيوف الله ، وكان ذلك فى غزوة مؤتة وقد جعل رسول الله ﷺ الإمارة لزيد بن حارثة ، فإن قتل فلجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فلعبد الله بن رواحة، وقد لقى الثلاثة مصرعهم وبحث المسلمون عن قائد يتولى قيادة الجيش فوجدوا ذلك فى خالد بن الوليد فولوه الإمارة عليهم بعد استشهاد الأمراء الثلاثة الذين ولاهم رسول الله ﷺ .

كان جـيش المسلمين قليل العـدد أمام جـيش الروم الذى كان أضـعاف أضـعاف المسلمين .

ولم يكن أمام خالـد إلا الإنسحاب بأقل الخسائر ، وعـاد الجيش إلى المدينة ولم يفقد إلا عددًا ضئـيلاً ، وهناك استقبلهم الصحابة بالعتـاب على الإنسحاب والفرار من المعركة ولقبوهم بالفُرَّارِ .

ولكن الرسول ﷺ قدر مـا فعله خالد وقال : « إنهم الكُـرَّارُ بإذن الله وليسوا بالفرار ، وما خالد إلا سيف من سيوف الله » .

حروب الردة

بعـد إنتقـال الرسول ـ صلوات الله وسـلامه عليـه ـ إلى الرفيق الأعلي ضـاقت الأرض حول المسلمين ، وعاد المفسدون والمنافقـون إلى كفرهم وضلالهم وارتد كثير ممن كان قد أعلن الإسـلام وامتنعوا عن دفع الزكاة ، وهنا قـام الخليفة الأول رضى الله عنه «أبو بكر الصـديق » ليقف فى وجه أكـبر فـتنة وهى فتنة الردة ، وكـان " لخالد " دور عظيم يذكره له التاريخ بحروف من نور .

سار « خالد » بجيشه إلى " طليحـة الأسدى " الذى ادعى النبوة وأعد " طليحة الأسدى " أربعين ألف مقاتـل فقاتلهم خالد بمن معه من المسلمين قـتالاً شديدًا ، وكان الإنتصـار الكبير للمسـلمين الصادقين ، وكانت الهزيمة لـلمفسدين والمنافـقين . وفرت جموع طليحة إلا أن خالداً تعقبهم ونفذ فيهم وصية أبى بكر .

وتوجه بعد ذلك إلى " مالك بن نويرة " الذى امتنع عن دفع الزكاة فقتله "خالد ابن الوليد " سـيف الله المسلول وتزوج من زوجته وهذا مما أثار " عـمر بن الخطاب " وطلب من " أبى بكر الصديق " عزل " خالد بن الوليد " ولكنه رفض هذا الأمر وقال « والله لا أغمد سيفًا من سيوف الله سله الله على المشركين » .

لقاء خالد مع مسيلمة الكذاب

لم يكن أمر " طليحة الأسدى " و " مالك بن نويرة " ذا شأن إذ كان هناك من

هو أقوى من هؤلاء وهو " مسيلمة الكذاب " فقد ادعى النبوة وآمن به قومه بنو حنيفة وكان موطنهم اليمامة باليمن ، وأحبوه وأنضمت إليه مدعية أُخرى اسمها (سجاح) وتزوج منها مسيلمة ، وضمت رجالها إلى رجال " مسيلمة الكذاب " .

وجاء " خالد " بجيشه وأخذ يحث الجنود على قتال " مسيلمة الكذاب " وقومه، وانتصر المسلمون واستشهد منهم ألفان فيهم الكثير من حفظة القرآن وقتل عشرة آلاف من أتباع " مسيلمة الكذاب " .

وهكذا انتهت حروب الردة داخل الجزيرة العربية ، وصلى المسلمون شكرًا لله على إخماد نار فتنة الردة إلى الأبد .

التى كان الفضل فيها إلى القائد الحكيم سيف الله المسلول " خالد بن الوليد ابن المغيرة " .

فتحه العراق وحروبه فيها

أدرك الصديق أن امبراطورية الفرس فى العراق وفارس . والروم فى الشام ، هما أشرس دولتين ، وأن دورهما الخطير فِى حروب الردة فيه تهديد للإسلام فأرسل لهم "خالداً " يدعوهم إلى الإسلام وإلا فالجزية أو القتال .

كانت أول وقائع خالد بن الوليد فى العراق وقعة الحفير قرب خليج البصرة وكان اسم صاحبها هرمز ، فبرز إلى خالد بجيشه مقترنين بالسلال كى لا يفروا ، فطلب خالداً للمبارزة ولم تستمر المبارزة كثيرًا حتى انتصر عليه خالد ، وكان فى نية القائد الفارسى أن يغدر بخالد أثناء المبارزة ولكن سيف الله خالد كان أسرع فقد صرعه . وتبعه جيش المسلمين وانقضوا على جيش الفرس وأخذ خالد قلنسوة هرمز والقلنسوة هى عند الفرس شعار الشرف وأرسلها إلى بيت مال المسلمين إلا أن الخليفة الصديق منحه إياها مكافأة له .

وسميت هذه المعركة " ذات السلاسل " لأن الفرس كانوا يربطون جنودهم بالسلاسل حتى لا يفروا من المعركة ، وتلا هذه المعركة ثلاث معارك أخرى ، ولما التقى خالد بهرمز فى الحفير أرسل الثانى كتابًا إلى كسرى يستمده فأمده بجيش عظيم

بقيادة قـائد اسمه قارون ، فلما وصل الجيش لقـى المنهزمين من جيش هرمز فاجتـمعوا ورجعوا إلى " الثنى " وهو النهر ، وسار إليه خالد وقـاتلهم فهزمهم وقتل وسبى وكان ضمن الأسرى أبو الحسن البصرى الشهير وكان نصرانيًا .

ثم بعد هذه الواقعة قصد خالد الحيرة وبعد مناوشـات خفيفة انتصر فيها المسلمون وكان فتح الحيرة فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة من الهجرة .

ومن الحيرة سار خـالد إلى دومة الجندل بعد أن حاصرها عيـاض بن غنم فخرج الجودى صاحب دومة الجندل إلى خالد بطائف من قومـه وأرسل إلى قتال عياض طائفة أخرى ، ولكن انهزمت الطائفتان فى آن واحد ، وأخذ المسلمون الحصن .

وكانت آخر وقائعه وقعة الفراض فى شمال العراق .

فتوح الشام

لما فرغ " أبو بكر " رضى الله عنه من قـتال أهل الردة رأى توجيه الجـيوش إلى الشام فكتب إلى أهـل مكة والطائف واليمن وجمـيع العرب بنجـد والحجاز يسـتنفرهـم للجهـاد ويرغبهم فيه وفـى غنائم الروم، فعقد ثلاثة ألوية لثـلاثة رجال ، ولم يكن من اليسير أن يقطع خالد بجيشـه تلك المسافة التى تفصل بين العراق والشام ، ولكن خالدا دعا أحد رواد الصـحارى المشهورين فجعل يسـتوضحه عن أقصر الطرق ثم اسـتقر رأيه على اصطحابه معه فى الرحلة الشاقة بين العراق والشام .

وعندما وصل خالد بجيش إلى اليرموك التقى هناك بجيوش المسلمين فانضم إليهم جمع الروم جيوشهم حتى بلغت مائتى ألف مقاتل ، ولما تسلم خالد زمام القيادة العامة أخذ فى تعبئة الجيش تعبئة لم يكن لها مثيل فى تاريخ العرب .

وشهـدت معركـة اليرموك نماذج فـذة من الإقدام وبذل الروح والنفس فى سـبيل الله .

وإلتقى خالد فى اليرموك بالقائد الرومانى (جـرجة) وقبل أن يتبارزا قال جرجة الرومانى لخالد :

يا خالد اصدقنى ولا تكذبنـى هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السـماء فأعطاك إياه فأنت تسله على أعدائك فتهزمهم به ؟

فأجاب خالد بن الوليد : لا يا هذا .

قال القائد الرومانى : فلماذا سُميت سيفَ الله ؟

قال خالدٌ : إن الله بعث فينا رسولَه ﷺ فصدق منا من صدق ، وكذب من كذب ، وكنت أنا فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام وهدانا برسوله ﷺ فبايعناه فدعا لى رسول الله ﷺ وقال لى أنت سيف من سيوف الله . هكذا سُميت سيف الله .

وبعد حديث طويل مع القائد الرومانى جرجة دخل نور الإسلام قلبه ، وأسلم وصلي لله ركعتين لم يصل سواهما ثم انطلق يقاتل فى صفوف المسلمين يرجو الشهادة فى سبيل الله حتى نالها ولقى الله على الإسلام .

استمرت جيوش المسلمين تزلزل الروم وتدك صفوفهم وتلحق بهم الهزيمة تلو الهزيمة .

ولقى عكرمة بن أبى جهل وعمه الحارث المخزومى وضرار بن الأزور مصرعهم ، وكتبت لهم الشهادة ، وكان النصر حليف المسلمين، ولم تمنع السلاسل التى ربط بها جنود الروم أنفسهم من الفرار من ساحة القتال .

يوم أجنادين

ثم كانت موقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مائة ألف سرب ، وكان هرقل يومئذ مقيما بحمص فقاتلهم المسلمون قتالاً شديدًا ، وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاءً حسنًا ، ثم إن الله هزم أعداءه ومزقهم وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير واستُشْهِد يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية .

عزل خالد بن الوليد

وصل كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أهل الشام يعزيهم فى وفاة أبى بكرٍ وذكر وفاته رضى الله عنه وقال فى الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . . .

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى من بالشام من المسلمين سلامٌ عليكم ، فإن من الحادث الذى حدث على هذه الأمة أنّ أبا بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ توفى فإنا لله وإنا إليه راجعون رحمةُ الله ورضوانه على أبى بكر القائمِ بالحق القائل بالصدق والآمر بالصدق والآخذ بالقسط والمعروف الرؤوف الرحيم الورع الحكيم . فرغب فى الله برحمته ، والعمل بطاعته ، والخلود فى جنته إنه على كل شئ قدير، وإذا ورد عليكم كتابى هذا وقرأتموه فالأميرُ عليكم أبو عبيدةَ بن الجراح وهو أمير جماعتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ثم كتب عمرُ إلى أبى عبيدةَ بن الجراح رضى الله عنه كتابًا صغيرًا وجعله فى وسطه وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . . .

« من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبيدة بن الجراح السلام عليك أما بعد فإنك بحمد الله فى كنفٍ من المسلمين وعدد يكفى بعضهم حصار أهل دمشق ، فإذا ورد عليك كتابى هذا فاقرأه على من قبلك من المسلمين وخبرهم بأنك الوالى عليهم » .

فلما ورد كتاب عمر ـ رضى الله عنه ـ على أبى عبيدة بعزل خالد بن الوليد وولايته على المسلمين استحى أن يخبر خالدًا ثم جعل يصلى خلفه ولا يبدى له شيئًا حتى سمع خالد بعزله وذلك أنه سمع الناس يقولون لأبى عبيدة أيها الأمير ، وعلم وأيقن أنه معزول فقال : " رحم الله أبا بكر أما إنه لو كان حيًا لما عزلنى أبدًا ، وأنت يا أبا عبيدة رحمك الله كيف لم تعلمنى بعزلى وولايتك على وأنت تصلى خلفى ولك السلطان علىَّ ؟ " .

وفاة خالد بن الوليد

لم يكن عزل عمر لخالد بن الوليد لكراهيته أو عجزه ، وحين سُئِلَ الفاروقُ عمرُ بن الخطابِ ـ رضى الله عنه ـ عن سبب عزل خالد قال : « إنى لم أعزله من لحظة أو خيانة ولكن الناس فُتنوا به فَخِفْتُ أن يُوكَلُوا إليه » .

ولما حضرت خالدَ بن الوليد الوفاةُ قـال : لقد شهِدتُ مائةَ زحفٍ أو زهاءها وما فى بدنى موضعُ شبـرٍ إلا وفيهِ ضربةٌ أو طعنةٌ أو رَمْيةٌ وها أناذا أمـوتُ على فراشى كما يموتُ البعيرُ فلا نامتْ أعينُ الجبناء .

ولقد توفى خـالد بن الوليد فى عهـد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فـحزن عليه الفاروق حـزنًا شديدًا ، رحمَ الله خالدًا ، قَلَّ أن يوجد قـائدٌ فى العالم يُوفَّقُ إلى النصرِ فى كل وقائعهِ ، كما وُفِّق خالدُ بنُ الوليدِ ـ رضى الله عنه ـ .



أبو عبيدة بن الجراح
أمين الأمة

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ، واشْتُهِرَ بكنيته ونسبِه إلى جدِّه فيقال أبو عبيدة بن الجراح .

وهو أحدُ العشرة المشهودِ لهم بالجنَّةِ ، وشَهِد بدرًا وأُحدًا ، وهو من السابقين إلى الإسلام .

إسلامه :

كان أبو عبيدة بن الجراح فارسًا شجاعًا وبطلاً وقائدًا من أشهر القواد فى الحروب، وكان الصدِّيقُ - رضى الله عنه - أوَّل الرجال الذين صدقوا محمداً ﷺ وبايعوه على دينِ الإسلام ، بل لقد كان أبو بكر أوَّلَ الدعاةِ إلى الدين الذى جاء به محمدٌ ﷺ .

وذات يوم جلس أبو بكر يتحدث إلى صديقه أبى عبيدة بن الجراح وما كان لأبى بكر بعد أن اعتنق الإسلام حديث غير الإسلام فشرح الله صدر أبى عبيدة للذى آمن به أبو بكر الصديق وانطلق أبو بكر الصديق بأبى عبيدة إلى رسول الله ﷺ حيث أعلن إسلامه بين يديه وشَهِدَ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

أبو عبيدة يقتل أباه

فى غزوة بدر كان أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح يقاتل فى صفوف المسلمين ، وأبوه عبد الله بن الجراح يقاتلُ فى صفوف المشركين ، وكان المشركون يفرون من أمامه . إلا رجلاً واحدا كان يتصدى لأبى عبيدة وأبو عبيدة يَتَجَنَّبُه ويحاول ألا يلتقى معه فى قتالٍ ولكن الرجل كان يلحُ فى طلب أبى عبيدة ليِقْتُله وأبو عبيدة يهرب

منه ويتحاشى لقاءه كان هذا الرجل هو أبوه عبد الله بن الجراح ، والتقى السيفان فالأبُ يقاتل كفرًا وشركًا وإلحادا ، والابنُ يقاتلُ عن إيمان بالله وتصديقًا به وبرسوله .

وتقاتلا الأب والابــنُ قتالاً ضـاريًا وهوى الابنُ على الأبِ يمزّقُ أعز النـاس عليه وتهامس الكفـارُ يتحدثون عن قسوة أبى عبيدة ، والمسلمون يتحدثون عن إيمان أبى عبيدة .

أطمأنت نفس أبى عبيدة بن الجراح ، عندما نزل الوحى السماوى ﴿ لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخـر يُوادُّون منْ حادَّ اللهَ ورسـولَه ولو كانُوا آباءَهمْ أو أبناءَهمْ ﴾ يقدر هذا الصنيع الذى كان منه فى سبيل الإيمان بالله .

غزوة أحدُ

فى ثانى لقاء بين المسلمين والمشـركين عند جبل أُحد كان ما كـان من قتال وثبت حول النبى ﷺ بعض الصـحابة حين أشاع المشركـون أن محمدًا ﷺ قـد قُتِلَ ولما أُصيب النبىُ الكريمُ وكُسِـرتْ رُباعِيتُه بِسببِ دُخولِ حَلْقَتَـينِ من درع وجهه الحديدى فى خـده الشريف أبصره أبو بكـر وأبو عبيـدة فابتدروا إلـيه . فقال أبو عبيدة: أسألك بالله يا أبا بكر إلا تَركْتنِى لأنْزعهمـا من وجنةِ رسول الله ﷺ فداه أبى وأمى . . فأخذ أبو عبيدة بِثَنِيَّتِه إحدى الحلقتين فنزعها وسقط على ظهره وسقطتْ ثِنْيته أبى عبيدة ، ثم أخذ الحلقةَ الأخرى بثنيتهِ الأخُرى فسقطت فكان أبو عبيدة فى الناس أهتم .

ولم يتخـلف أبو عبيـدة عن مشـهد من المشـاهد مع رسول الله ﷺ فى قـتال الشـرك والمشـركـين ، حتى كـان موضـع ثقـة النبى ﷺ وكـان فى مـقدمة مـوكب رسول الله ﷺ فى فتح مكة .

أمين هذه الأمة

سأل أهل اليمن رسول الله ﷺ أن يرسل معهم رجـلا يعلمهم السُنة فأخذ بيد أبى عبيدة بن الجراح وقال : « هذا أَمينُ هذه الأُمَّة » .

ولما جاء وفـد نجران إلى النبى ﷺ قالوا ابعث مـعنا رجلاً أمينا من أصـحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها .

قال لهم رسول الله ﷺ : « إئتونى غدا أبْعَثُ معكم رجلاً أمينا حق أمين » فكان عمر بن الخطاب يقول « ما أحببتُ الإمارة قط حُبى إياها يومئذٍ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى صلاة الظهر فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر يمينه ويساره فجعلت أتطاول له ليرانى فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال له :

« أُخْرُج معهم فاقض بينهم بالحقِّ فيما اختلفوا فيه » .

أبو عبيدة حكيمًا وزاهدًا

لما وصل عمرو بن العاص أرض الشام خاف أن يهزم فطلب المدد من النبى ﷺ فأمده عليه الصلاةُ والسلامُ بسريةٍ من المهاجرينَ والأنصار فيهم أبو بكرٍ وعمر بنُ الخطاب وجعَلَ أبا عبيدة بن الجراح أميرًا على السرية ، فلما وصل المدد إلى عمرو بن العاص قال لهم : أنا أميرُكم فلقد أرسلت إلى رسول الله ﷺ استمده بكم فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أميرنا ، فقال عمرو بن العاص: أنتم مدد أمددت به .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة ـ وكان عاقلاً حكيمًا ـ بوادر الخلاف خاف على المسلمين من الفتنة وسارع إلى إجابة طلب عمرو بن العاص حتى لا يكون هناك فتنة ، وقال له يا عمرو : إن آخر ما عهد به رسول الله ﷺ أن قال لى : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » وإنك إن عصيتنى لأطيعنك .

وبذلك يتضح لنا مدى حكمةِ أبى عبيدة بن الجراح .

ويوم تُوفِّى النبىُّ ﷺ قال عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح: ابسط يدك لأُبايعَك فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ فامتنع أبو عبيدة ولام عمر وقال له : ما رأيتُ لكَ فَهَّةً منذُ اليوم . أتبايعنى وفيكم الصِّديق وثانى اثنين إذ هما فى الغار .

أبو عبيدة قائدًا شجاعًا

وفى خلافة الصديق أبى بكر تولى أمينُ الأمة أبو عبيدة الإشراف على بيت مال

المسلمين ، ثم كـان قـائدًا لمواجهـة المرتدين فى حـروب الردة ، ثم قـائـدًا لواحـد من جيـوش الفتح الإسلامى إلى الشام .

فلقد عقدَ أبو بكرٍ الصديقُ ـ رضى الله عنه ـ أربعـة ألوية لجيوش الفتح الإسلامى التى سيرها على بركة الله إلى بلاد الشام ، فكان لأبى عبيدة قيادة أحد الجيوش الأربعة ، كما كُلف بأن يكون القائد العامَّ لها جميعًا حين التجمع .

ودفعتـه شجاعته لأن يقـهر الروم ويقتحم حـصونهم ويحقق أكبـرَ نصرٍ للإسلام والمسلمين فى فتح بلاد الشام .

حيث كان بعيد النظر فى وضع الخطط العسكريةِ .

معركة اليرموك

جمع هرقل جموعًا كثـيرةً من الروم وأهل الشام ، وكانوا حوالى مائتين وأربعين ألف مقاتل ، وكان عدد المسلمين أربعين ألفا ، وكان فيهم ألف صحابى منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا .

وخرجت الروم فى تعـبئة فلم يُر مثلهـا قط ، وخرج خالد فى تعبـئة لـم تعبـئها العـرب قبل ذلك وجـعل فى القلب أبا عبـيدة وجـعل على الميمنة عـمرو بن الـعاص وشرجيـل بن حسنة ، وجعل على الميسرة يزيد بن أبى سـفيـان (ذكر ذلك ابن الأثيـر فى كتابـه الكامل فى التاريـخ) وكان تـأثيـر القلب الذى جعـل خالـد بن الولـيد عليـه أبا عبيدة تأثيرًا كبيرًا وهجومه صاعقًا على قلوب الروم .

وكتب أبو بكر الصديق إلى أبى عـبيدة بن الجراح قبل المعركـة يقول له : «سلامٌ عليك أما بعد . . فـقد ولّيْتُ خالداً قتـال العدو فى الشام فلا تُخـالفْه واسمعْ له وأطِعْ فإنى ولَّيْتُه عليك وأنا أعلم أنك خـيرٌ منه ولكن ظننْتُ أنَّ له فِطْنةً فى الحرب ليست لك أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد » .

وكتب خالد بن الوليـد إلى أبى عبيدة يقـول له : السلامُ عليك . « أما بعد فقد أتانى كتابُ خليفةِ رسول الله يأمرُنى بالسفر إلى الشام والقيام إلى جندها والتولى لأمرها والله ما طلبْتُ ذلك قط ولا أردته إذا وُليتَه فأنت على حالك الذى كنت عليه لا نعصيك ولا نقطعُ أمرًا دونكَ فأنت سيد المسلمين . لا ننكر فضلك ولا نستغنى عن رأيك

في أثناء موقعة اليرموك أمر خالد المسلمين من النساء أن يقفن وراء الرجال ويضربن من يَفِرُّ منهم ،وقال أبو عبيدة لهن : « خذن بأيديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن المسلمين على القتال » .

ثم خطب أبو عبيدة فى الجند فقال :

« عباد الله انصروا الله ينْصُرْكُم ويُثَبِّتْ أقْدامكُم ، يا عباد الله إصْبرُوا فإن الصبر منجاةٌ من الكفر ومرضاةٌ للرب ومدْحضةٌ للعار . . لا تتركوا مصاحفكم ولا تخطوا إليهم خطوةً ولا تبعدوهم عن ذكر الله عز وجل فى أنفسكم حتى يتم أمركم إن شاء الله » .

وفاة أبى بكر واستخلاف عمر بن الخطاب

وفى أثناء المعركة توفى أبو بكر الصديقُ ـ رضى الله عنه ـ وتولى عمر بن الخطاب خلافة المسلمين . وكان أول عملٍ قام به عمر بن الخطاب أن أرسل رسالة إلى أبى عبيدة جاء فيها : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة بن الجراح . . السلام عليك ، أما بعد فإنك بحمد الله فى كنف من المسلمين وعدد يكفى بعضهم حصار أهل دمشق فإذا ورد عليك كتابى هذا فاقرأه على من قِبَلكَ من المسلمين وخبِّرْهم بأنك الوالى عليهم . . وابعث سراياك فى نواحى الشام ولا تقر عسكرك فى جندك فيطمع فيك عدوك لكن انظر برأيك فيمن استغنيت عنه من أصحابك فسرحه إلى ما قبلى ومن احتجت إليه فى حصارك فاحبسه عندك وليكن فيمن تحبسه هناك خالد بن الوليد فإنه لا غناء بك عنه . والسلام » ، فلما ورد كتابُ عمر ـ رضى الله عنه ـ استحيى أن يخبر خالدًا ثم جعل يصلى خلفه ولا يبدى له شيئًا .

حتى سمع خالد بعزله فقال رحم الله أبا بكر أما إنه لو كان حيًا ما عزلنى أبدًا وأنت يا أبا عبيدة رحمك الله كيف لم تعلمنى بعزلى وولايتك على وأنت تصلى خلفى ولك السلطان على ؟

فقال أبو عبيدة : ما كنت أحب أن أعلمك بذلك لولا أنك علمته من غيرى .

الزحف إلي دمشق

ثم زحف أبو عبيدة إلى أبواب دمشق فأحاطت الخيل بدمشق من على كل جانب فضيقوا عليهم غاية الضيق ، وحصروها وجعل خالدًا فى مقدمة الجيش ، واستمر الحصار وأهل دمشق داخل المدينة فى انتظار المدد من هرقل فلما أبطأ ذلك عليهم وضاق عليهم الأمر واشتد عليهم الحصار ورأوا أن المسلمين لا يزدادون إلا قوة وصلابةً وقد كانوا علموا أن خالد بن الوليد معزول فأرسلوا إلى أبى عبيدة بن الجراح يسألونه الصلح فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك ووقع صلحهم على مائة ألف دينار . ثم تم فتح الأردن وصيدا وبيروت بعد ذلك .

فتح حمص

ولما فتح المسلمون المدائن جعل أهل حمص يحصنون مدينتهم ويجمعون الجموع لحرب المسلمين ، ثم أنهم كتبوا إلى هرقل ملك الروم فأمدهم بعشرين ألفا من الجند .

وأهل حمص يومئذ عشرة آلاف ، وبلغ ذلك أبا عبيدة بن الجراح فكتب بذلك إلى عمر ـ رضى الله عنهما ـ فكتب إليه عمر أن قد فرغنا من أمر القادسية والمدائن والله الذى نصرنا على هؤلاء الفرس هو الذى ينصرنا على الروم .

عندها نادى أبو عبيدة بالرحيل إلى حمص فرحل ورحل المسلمون حتى وصلوا إلى مدينة حمص فنزلها وأحاط بها من كل جانب وكان ذلك حصارًا لها ، وخرج أهل حمص إلى قتال المسلمين غير أن المسلمين قتلوا منهم بشرًا كثيرًا ، وولى جند الروم الأدبار حتى دخلوا المدينة .

وقد ألقى الله عز وجل الرعبَ فى قلوبهم ، وبعد ذلك أرسلوا إلى أبى عبيدة يسألونه الصلح فصالحهم أبو عبيدة .

فتح بيت المقدس

لما انتهى أبو عبيدة ـ رضى الله عنه ـ من فتح دمشق خرج بمن معه من المسلمين حتى صاروا إلى بلاد الأردن فنزل هناك ، ثم كتب إلى أهل بيت المقدس كتابًا فيه : "بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها السلامُ على من اتبع الهدى وآمن بالله تعالى العلى الأعلى أما بعد . . فإنى آمركم أن

تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله عليه السلام . . . فإذا شهدتم بذلك فقد حرمت علينا دماؤكم وأموالكم إلا بحقها ، وإن أبيتم ذلك سرت إليكم بقوم هم يحبون الموت أكثر من حبهم للحياة ، فاختاروا واحدة من اثنتين .

وخرج أهل إيلياء إلى حرب المسلمين فاقتتلوا ووقعت الهزيمة على أهل إيلياء فقتلهم المسلمون قتلا ذريعًا حتى أدخلوهم مدينتهم .

وحين ولىَّ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أبا عبيدة بن الجراح أميرًا على الشام فإنه كان يلبس الصوف الخشن . فيقول له عمر بن الخطاب : إنك بالشام ووالى أمير المؤمنين وحولنا الأعداء ، فغير من زيِّك وأصلح من شأنك فأجابه : ما كنت بالذى يترك ما كان عليه فى عصر رسول الله ﷺ .

ولما ذهب عمر إلى الشام لاستلام مفاتيح بيت المقدس دخل عمر دار أبى عبيدة ابن الجراح فلم يجد فيها متاعًا إلا بساطًا وقربةً عتيقةً وكسيرات من خبز يابس فبكى عمرُ.

أبو عبيدة فى رحاب الله

انتشر وباء الطاعون فى بلاد الشام وقضى على كثير من الجند فأصيب به أمين الأمة وكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يطلب منه مغادرة تلك البقعة ولكن القائد العظيم رفض وأبى إلّا البقاء بين صفوف جيشه ملتزمًا بأمر رسول الله ﷺ : « إذا حل الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإن كنتم فيها فلا تخرجوا منها » ويمت أبو عبيدة شهيدًا فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة وهو فى أعز إنتصاراته ، رحم الله أمين الأمة وقائدها .

***

حمزة بن عبد المطلب
أسد الله وأسد رسوله

مولد حمزة ونشأته :

فى عام الفيل وُلِدَ بطلُنا « حمزة بن عبد المطلب » وكان له شرف الإخاء برسولِ الله ﷺ من الرضاعة فقد أرضعتهما امرأة واحدةٌ هى « ثويبة » ثم انتقل الرسول ﷺ إلى « حليمة السعدية » فأرضعته .

ثم أكْرَمَ الله حمزةَ بصداقة الرسول ﷺ منذ الطفولة ، وصَحبَ حمزةُ رسولَ الله ﷺ يرقبُ فيه ـ عن كثب ـ سُموَ أخلاقه التى فاقت كل معاصريه ولقد عُرِفَ محمد ﷺ بين قَوْمِه بالصَّادِقِ الأَمين .

كان حمزةُ يتمتعُ بكل الصفات الجميلةِ من رجولةٍ وشجاعةٍ وفروسيةٍ ، وكيف لا يكون ذلك وهو ابن عبد المطلب سيدِ قريشٍ ؟ وقد أهله كل ذلك ليحتل مكاناً بين زعماء مكة وسادات قريش . كما دُرِّبَ « حمزة » على كل البطولات مثل الفروسية والقنصِ والصيدِ .

إسلام حمزة

عندما نزل الوحى على رسول الله ﷺ قام يدعو إلى دين الله وكانت الدعوة فى أول الأمر سراً . فآمن به وصدقه عدد قليل منهم « على بن أبى طالب» و «أبو بكر الصديق » و « عثمان بن عفان و « بلال بن رباح » وغيرهم ولكنهم كانوا يخافون قريشاً . وكانوا يجتمعون سراً فى دار الأرقم بن أبى الأرقم . حتى تسرَّبتْ أخبارهم إلى قريشٍ .

ولأولِ مرةٍ فى مجالس قريش سَمِعَ (حمزةُ) سادةَ قريشٍ يتحدَّثون عن الد سولِ بحقدٍ وغيظٍ .

وبَدَأ « حمزة » يسألُ نَفْسَه ما الذى يَجْعَلُ سادَةَ قريشٍ يحملونَ على الدين الجديد تلك الحملة العنيفة ؟

وما حقيقة هذا الدين ؟ ومكث « حمزةُ » فى بيته أياماً لا يستقرُ على قرارٍ

وقال فى نفسه : سأقْصِدُ اليومَ دارَ الأرقمِ بعد الرُّجوعِ من رحلةِ الصيدِ .

ومضى « حمزةُ » إلى رحلةِ الصَّيدِ فى أودية مكَّةَ .

وبعد عودة « حمـزة » من رحـلة الصيد مُتَقَلِّـداً قَوْسَهُ اعتـرضتْ « حمزةَ » امرأةٌ قائلةً :

ـ « يا أبا عِمارَةَ لو رأيتَ ما لَقِىَ ابنُ أخيكَ الصادقُ الأمينُ من أبى جَهْلٍ !!

ـ « ماذا تَعنين يا امرأةً هل أُصيبَ محمدٌ بمكروه ؟ » .

ـ قالتْ المرأةُ . « لقد سبَّه أبو جهل وآذاهُ وبَلَغَ منهُ مَايكْرهُ ثُمَّ انصرفَ عنه » .

أثَارتْ كلمـاتُ المرأةِ كلَّ نوازعِ الغـضبِ فى نفسِ « حـمـزةَ » ولكنْ هلْ يسكتُ «حمزةُ » على ما فعل أبو جهلٍ ؟

مضىَ « حـمزةُ » إلى مجـلسِ أبى جهلٍ فَوَجَـدَهُ جَالِساً فى عنجـهيـة وتكَبُّرٍ بينَ سادات قريشٍ .

إتَّجَهَ حمزةُ إلى (أبى جهلٍ) ثُمَّ رَفَعَ قَوْسَه وضَرَبَه به فَشَجَّهُ شَجَّةً بَلِيغَةً مُنْكَرَةً . ثُمَّ صَاحَ فيه :

« أَتَشْتُمُهُ وأنا على دينه أقولُ ما يَقولُ ؟ »

حينئذٍ قامَ بعضُ الجالسِين من بنى مَخْـزُومٍ وأَيْدِيهمْ على مقابضِ سيوفِهم يريدونَ أَنْ يثأروا لأبى جهلٍ من حمزة .

فاستَعدَّ لهم حمزةُ غَيْرَ مُبَالٍ بكثرةِ عددهم .

وعند ذلك وقفَ (أبو جهل) وقـال : دَعُوا (حمزةَ) فإنِّى والله قـد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سَبًّا قَبيحاً .

ومضى « حمزةُ » كالأسد من مجلسِ قريشٍ .

وهكذا أصبح « حـمزةُ » ـ رضى الله عنه ـ مَسلمـاً عن إيمان بدين الحق ، وكان إسلامُه وليد حب ودفاع عن ابن أخيه الحبيب ﷺ .

ومضى حمزة إلى ابن أخيه فى الصباح وطالما شاقه أن يجلس إليه ، ولقد فرح الرسول - ﷺ - والمسلمون معه بإسلام « حمزةَ » فرحاً شديداً .

وشرعَ رسولُ الله يتلو بعضَ ما أنزلَ الله وحمزةُ ينصِتُ إلى آيات القرآنِ الكريم . لقد زلزلتْ آياتُ الله تعالى أركانَ نفسِ حمزةَ القوية .

ولم يلْبثْ « حمزةُ » أن أعلنَ إسلامه على الملأ من قريش .

لقد كان إسلامُ « حمزةَ » نصراً للمسلمين وزلزلة لعروش الشرك .

عرفتْ قريشُ بإسلامِ حمزةَ ومضى حمزةُ يتحدى قريشاً بإسلامهِ وهى تحاذر أن يكون لها معه صِدام ومضت الأيام وحمزة على العهد يزداد قوة وعزيمة وهاجر حمزة إلى المدينة المنورة مع من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ وحين بدأ التناوشُ بين المسلمين والمشركين وأذن الله سبحانه وتعالى للمسلمين بالقتال كان (حمزة) فى طليعة المجاهدين من المهاجرين والأنصار الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن دين الله .

وفى أحد الأيام خرج « حمزةُ » على رأس مجموعة من ثلاثين فارساً تزودوا بنصائح رسولِ الله ﷺ وانطلقوا إلى ساحل البحر والتقى حمزة عند الساحل مع قافلة لقريش قوامها ٣٠٠ راكب من أهل مكة كان على رأسهم أبو سفيان بن حرب وأوشك أن يقع القتالُ لولا تدخلُ رجلٍ اسمه مجدى بن عمرو وقف حاجزاً بين الفريقين .

أدركتْ قريشُ دورَ « حمزةَ » الذى حمل أول لواء فى الإسلام وعندما دعى المسلمون إلى الجهاد ومواجهة الشرك فى غزوة (بدر) جمع رسولُ الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ٣٠٠ مجاهد التقوا مع ١٠٠٠ مقاتل من فرسان قريش الذين جاءوا يريدونَ القضاءَ على محمدٍ ﷺ والذين آمنوا معه ولكن الله يريدُ أن يُعزَّ دينَه وينصرَ رسولَه على الشركِ والوثنية وعسكر الجيشان عند ماء بدر ، وكان المسلمون قد سبقوا المشركين إلى المَاء وإستبدَّ العطشُ بالمشركين بعد أن حجز المسلمون عنهم الماء ، فاندفعَ أحدُ المشركين وأقسم أن يشرب من ماء بدر فبادره « حمزةُ » وضربه بالسيف فَقُطِعَتْ رجلهُ .

وبرز من صفوف المشركين ثلاثةٌ من فرسانِ قريشٍ وقفوا متعاظمين بقوتهم ونادى

(عـتبـةُ بن ربيـعـةَ) وهو من صناديـد قـريـش « يا محـمـد أَخْـرِجْ إلى أكفَـاءِنا من الفرسان » .

وَهنا صدرت أوامر القائد (محمد رسول الله ﷺ)

قُمْ ياحمـزةَ بن عبد المطلب ، قم يا عـبيدةَ بن الحارث بن عـبد المطلب ، قم يا على بن أبى طالب بن عبد المطلب .

ووقـف النـبى الكريـم ﷺ يدعـو الله حتى صرع حمـزةُ خَصْمَه (شيـبة بنَ ربيعةَ) ، وَصَرَعَ علىُ بن طالب خَصْمه الوليدَ بن عتبةَ ونظر حمـزةُ وعلىُ فإذا (عبيدةُ) قد أُصيبَ فإنهالا على (عتبة وقتلاه) .

وقد نال « عبيدةُ بنُ الحارثِ بن عبد المطلب » وسامَ أول شهيد فى الإسلام .

والتقـى جيـشُ المسلمـين وجيشُ المشركـينَ بعـد ذلك وراح « حـمزةُ » يصولُ ويجولُ ، وكان كالأسد مما جعل رسول الله ـ ﷺ يُطْلِقُ عليه لقبَ (أسدُ الله وأسدُ رسولِه) .

وانتهت غزوة بـدر بهزيمة المشركين ، ومضت قـريش مرتدة بعد الهزيمةِ السـاحقة التى لحقت بهم بعـدأنْ خسرت كثيـراً من ساداتها كأبى جهل وعـتبة وشيـبة والوليد بن عتـبة، ولما وصلـت أنباء هزيمة المشـركين فى بدر إلى مكة تلقـتها نسـاء قريش بـالحزن والأسى .

وكان أشدهن صراخاً هى (هند بنت عتبة) زوجة أبى سفيان التى فقدت فى يوم واحد وعلى يد فارسٍ واحد هو (حمزةُ بنُ عبد المطلب) أباها وابنها وعمها وأخاها .

حمزة في غزوة أحد

وَصَلَتْ أنباءُ الهزيمةِ النكراءَ ـ التى لحقت قريشاً ـ إلى مكةَ ، وراح دعاةُ الثأر منها يتشاورون ويتهيأون بعد أنْ أذَلَّ « حمزةُ بن عبد المطلب » سادات قريش وقتل بيديه عدداً من سادات قريش مما جعلَ قريشاً جميعَها مهتمةً بأمرِ هذا الفارسِ أسد الله وأسد رسوله

ولكنَّ امرأةً واحـدةً فاقَ حقدُها حـقدَ الجميع عـلى حمزةَ بنِ عبـد المطلب فهى تفكِّرُ ليلَ نهارَ فى الانتقامِ من أسد الله ـ ثأراً لأبيها وعمها وابنها وأخيها الذين قتلوا على يد (أسد الله وأسد رسوله) .

اتفاق هند مع قاتل حمزة

إستدعى « جبير بن مطعم » ـ أحدُ أشراف قريش ـ غلاماً له عبداً حبشياً اسمه (وحشى بن حرب) وكان مشهوراً بأنه يقذف بالحربة ولا يخطئ ووعده إذا قام بقتل حمزة بن عبد المطلب أن يعتقه وفى الطريق إلى المدينة كانت (هند بنت عتبة) تُحَرِّضُ وحشياً على قتل حمزةَ وتعدُه بالوعود والمال الكثير .

وجاء يوم أحد فأخذ حمزةُ يقتل ويضرب ويطعن فى أعداء الله وأعداء الإسلام المشركين وانتصر المسلمون فى أولِ الأمر وأوشكَ النصرُ أن يكونَ حليف المسلمين لولا مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ وكان النبى قد أمرهم بالثبات عند الجبل وأوصاهم ألا يغادروا الجبل غير أنهم حين رأوا انتصار المسلمين وكثرة الغنائم أغراهم ذلك وتركوا الجبل وسارعوا إلى جمع الغنائم . ولكن البعض منهم لم يترك الجبل ملتزمين بأوامر الرسول ﷺ .

ولكن الله أراد أن يلقن المسلمين درساً فى الطاعة لله ولرسوله . وكان أثر ذلك أن انهزم المسلمون بعدأن إلتفت من خلفهم قوة من المشركين فانقضوا عليهم ولكن المسلمين بذلوا أرواحهم فداء للرسول ﷺ يدافعون عنه . وقاتل حمزةُ فى أحد قتالاً شديداً ولكنه لم يعلم أن هناك من يتتبع خطوات الفارس البطل الذى يصول ويجول ويكر ويفر بسرعة كبيرة . أو أن هناك اتفاقاً على قتل هذا البطل (أسد الله وأسد رسوله).

تحين (وحشى) الفرصةَ المناسبةَ لاقتناصِ حمزةَ غدراً .

ورفع وحشى حَربَتَهُ ثم دفعها دفعةً قويةً فى اتجاه أسد الله فوقعت قريبة من القلب وما لبث أن استشهد (أسد الله وأسد رسوله) .

وصعدت روح الشهيد إلى بارئها وسقط البطل ومات الفارس . ثم ترك وحشى ساحةَ المعركة بعد أن حقق غرضه وهو قتل حمزة بن عبد المطلب بعد أن قتل خير الناس بعد ذلك أسلم وحشى وشارك مع المسلمين فى حروب الردة وقتل مسليمة الكذاب وهو بذلك قد قتل شر الناس .

هند في ساحة المعركة

أخذت هند بنت عتبة تمثل بالقتلى من المسلمين معها . وكانت هند تبحث عن حمزة حتى وقعت عيناها على جثة حمزة وأخذت تقترب من جثة (أسد الله وأسد رسوله) وصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن (عتبة) لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكرى
شفيت نفسي وقضيت نذرى	شفيت (وحشى) غليل صدرى
فشكر (وحشى) على عمرى	حتى ترم أعظمى فى قبرى

وأدركها أبو سفيان زوجها فوقف عند جثة (حمزة) وراح يضرب بالرمح هو يقول (ذق ياعقق) .

الرسول يتفقد الشهداء

جاء رسول الله ﷺ بعد أن وضعت الحرب أوزارها يتفقد شهداء المسلمين وجرحاهم ، وألتمس حمزةَ فوجده قد شق بطنه وقطع أنفه وأُذناه وفى جسده عشرات الجراحات والطعنات والضربات ووقّف عنده رسول الله ﷺ وقال :

« والذى نفس محمد بيده لولا أن تحزنَ أُخْتُه صفية أو تكون سنة من بعدى لما دفنته ولكنت تركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم . جزاء ما فعلوا بأسد الله وأسد رسوله » .

ولم يجد رسول الله سبيلاً لتكريم أسد الله ورسوله أبلغ من أن يصلى عليه مع كل شهيد من شهداء أحد وكانوا سبعين من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ .

إسلام هند بنت عتبة

بعد ذلك أسلمت هند يوم فتح مكة وحسن إسلامها وذلك أن هندا قالت لأبى سفيان إنى أريد أن أبايع محمداً .

ـ قال لها أبو سفيان : قد رأيتك تكرهين هذا الحديث أمس ؟ قالت : إنى والله ما رأيت الله عُبِدَ حَقَّ عبادته فى هذا المسجد قبل الليلة والله إن باتوا إلاَّ مُصَلِّينَ قياماً وركوعاً .

ـ قال : فإنك قد فعلت ما فعلت فاذهبى برجل من قومك معك فذهبت إلى عثمان بن عفان فذهب معها فاستأذن لها فدخلت وهى منقبة فقالت : يارسول الله الحمدُ لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتمسنى رحمتك يامحمد إنى امرأةٌ مؤمنةٌ بالله مصدقة به ثم كَشَفَتْ عن نقابها وقالت : أنا هند بنت عتبة ، فقال رسول الله ﷺ : مرحباً بك .

وقد توفيت هند فى خلافة عمر بن الخطاب فى اليوم الذى مات به أبو قحافة والد أبى بكر الصديق .

إسلام « وحشى »

« وحشى بن حرب » الحبشى .

هو من سودان مكة قاتل « حمزة بن عبد المطلب » رضى الله عنه ـ يوم أحد ـ وشارك فى قتل « مسيلمة الكذاب » يوم اليمامة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الإسلام وسئل « وحشى » عن كيفية قتله « لحمزة بن عبد المطلب » قال : كنت غلاماً « لجبير بن مطعم » وكان عمه « طعيمة بن عدى » قد قتل يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال لى « جبير » : إن قتلت «حمزة » عم «محمد » فأنت حرٌّ فخرجت مع الناس حين خرجوا إلى أحد فلما التقى الناس خرجت أنتظر « حمزة » وأتبعه حتى رأيته مثل الجمل يهد الناسَ بسيفه هدّاً فهززت حربتى حتى إذا رضيت عنها دفعتها إليه فوقعت فى ثنيته حتى خرجت من بين رجليه .

وبعد ذلك أقام فى مكة حتى فتحها الرسول ﷺ وشهد شهادة الحق أمام الرسول وقال له الرسول : وَحْشِىٌّ ؟ قلت : نعم قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة فحدَّثْتُه . فلما فرغتُ قال : ويحك غيب وجهك عنى فلا أراك .

***

عمرو بن العاص
داهية العرب

اسمه ولقبه

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ويكنى أبو عبد الله وقيل: أبو محمد وأمه النابغة بنت حرمله .

صفاته :

كان أبوه (العاص) أحد أشراف قريش وقد أدرك الإسلام ولم يسلم وكانت التجارة هى حرفة (عمرو بن العاص) فأتاحت له هذه الحرفة السفر إلى الشام ومصر والحبشة واليمن وقد أكسبه هذا السفر الدائم معرفة عميقة بالناس والمجتمعات وأنماط حياتهم وكان لذلك أثره فيما توافر لعمرو بن العاص من الخبرة وبعد النظر وسعة الأفق وكان يتمتع بالشجاعة والإقدام والفروسية .

ويعد عمرو بن العاص أحد دهاة العرب وله فى ذلك حسن التصرف والخروج من أى مأزق ، حيث اشتهر أن أكثر العرب دهاءً كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة فمعاوية بن أبى سفيان كانت له القدرة على مداراة الخصوم ، أما عمرو بن العاص فقد كان متفتح الذهن يحسن التخلص من كل مأزق يعرض له ويتعامل مع المواقف الصعبة بهدوء وسرعة بديهة .

عمرو بن العاص والنجاشى

تأخر إسلام عمرو بن العاص وكان له مواقف شديدة على الإسلام وقد أرسلت قريش عمرو بن العاص إلى النجاشى ملك الحبشة ـ حينما هاجر المسلمون إليها فراراً بدينهم ـ لكى يعطيهم المسلمين ، وأرسلوا مع عمرو الكثير من الهدايا للنجاشى وكان

لكثـرة تردد عمرو بن الـعاص على الحبـشة بسـبب التجـارة صلة طيبـة بينه وبين ملك الحبشة .

لكن لم يفلح عمرو بن العاص فى إقناع ملك الحبشة بطرد المسلمين من الحبشة .

إسلام عمرو بن العاص

فى إحدى رحلات عـمرو إلى الحبشة كان بينه وبين النجـاشى حديث طويل جاء فيه ذكر رسـول الله ﷺ والدين الجديد وسأل ملك الحبشة عـمروا لماذا لم تؤمن حتى الآن وهو رسول من عند الله حقا ورد عمرو :

أو تراه كذلك أيها الملك ؟

أجاب ملك الحبشة : نعم هو كذلك والله .

وعاد عمرو بن العاص وحديث النجاشى يتردد على عقله وقلبه وقد ذهب عمرو ابن العاص وخالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ وقال الرسول الكريم لما رآهما قادمين « لقد رمتكم قريش بفلذات أكبادها » .

وقد سئل عمرو بن العاص لماذا تأخر إسلامه فقال :

إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى عقولهم الجبال. فلما بعث النبى ﷺ . رأيناهم ينكرون عليه فلذنا بهم فلما ذهبـوا وصار الأمر إلينا . ونظرنا وتدبرنا فإذا هو الحق المبين .

إن عمرو بن العاص واحد من أعظم الناس عـقلاً ولكن إسلامه هو إسلام العاقل ويقول الرسول ﷺ : أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص .

ومنذ أن أسلم عمرو بن العاص نال ثقة الرسول ﷺ .

قدوم عمرو بن العاص إلى عُمَان

أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العـاص إلى والى عمان جيفر وأخـيه عبد وبعث إليهم بكتـبه يدعوهـم إلى الإسلام وكـان (عبد) أحلم الرجلين فلما وصل عـمرو بن العاص عـمد إلى (عبـد) فدفع إليه عـمرو كتـاب الرسول ﷺ فأعلن إسـلامه هو وأخوه جيفر . واستقر عمرو بن العاص فى عمان حتى بلغـه وفـاة رسول الله ﷺ ثم عاد إلى المدينة .

وفى خلافة الصديق أرسله أبو بكر رضى الله عنه لقتال المرتدين وجهه إلى قضاعة فسار إليهم وحاربهم حتى قضى على فتنة الردة بأرضهم .

فتح فلسطين

شارك عمرو بن العاص رضى الله عنه فى الفتوحات الإسلامية ، وفى حرب الروم كانت أول موقعة واقعها عمرو بن العاص هى فتح فلسطين ثم فتح غزة ونابلس ورفح ولما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص نزل عمرو وشرحبيل بن حسنة على أهل بيسان فافتتحاها وسار عمرو إلى أجنادين وكان عليها من الروم حاكم يسمى الأرطبون وكان الأرطبون أدهى الروم وأبعدهم غوراً وانكاهم فعلاً . فلما بلغ عمر الخبر قال : «قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج » وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر فى الأرطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار إليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد . ففطن به الأرطبون وقال : لاشك أن هذا هو الأمير أو من يأخذ الأمير برأيه.

وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقه ويقتله إذا مر به وفطن عمرو لفعله فقال له : قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع قولك منى موقعاً . وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب إلى هذا الوالى لنكانفه ويشهدنا أموره فأرجع فآتيك بهم الآن فإن رأوا الذى عرفته عنك الآن فقد رآه الأمير وأهل العسكر وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك فقال نعم ورد الرجل الذى أمر بقتله وقال لعمرو : انطلق وجئ بأصحابك .

فخرج عمرو بن العاص من عنده ورأى أن لا يعود لمثلها ولما هزم الروم ووقع الأرطبون فى أيدى المسلمين أسيراً عرف أن عمروا الذى أتاه هو الأمير فقال: خدعنى الرجل هذا أدهى الخلق .

فتح بيت المقدس

فى سنة ست عشرة فى ربيع الأول فتح بيت المقدس وفتح عمرو غزة وفتح نابلس ولما دخل إيلياء بلغهم أن أرطبون قال : لا يفتح والله عمرو شيئاً من فلسطين بعد

أجنادين . فكتب عـمـرو إلى عمـر بن الخطاب (إنى أعـالج عـدواً شديداً وبلاداً قـد ادخرت لك فـرأيك) وقد طلب أرطبـون أن يأتى الخليفـة بنفسـه يتسلم مفـاتيح بيت المقدس فلبى عمر بن الخطاب طلبه .

فتح مصر

كان عمرو بن العاص محباً للإمارة طامـحاً للعلا ذا نفس عالية لا ترضى بالحقير من الأعمال بل تطلب جليلها مهما قام دونها من المصاعب وترتب عليها من التبعات .

وأى قائد غيـر عمرو بن العاص يقـدم على دخول مصر ويرغب فى قـتال ملك الفراعنة بجيش يقل عن الأربعة الآف مقاتـل يريد أن يقهر به أمةً كان يربو عددها على العشـرة ملايين . إن الذى أطمع عمـرواً بمصر ذهابه إليها فى الجـاهلية وعلمه بحـالها ووقوفه على ثروة أهلها وخيرات أرضها ولكن إقدامه على قصدها بجيشه القليل يدل أنه رأى بعين البصيرة عقب وقائع الشام أن دولة الروم قد زالت قواها .

وخرج عمرو فى ثلاثة الآف وخمسمائة رجل فـأتى العريش ففتحها ثم تقدم إلى الفرما ففتحها ثم دمياط ففتحـها ثم بلبيس فحاصرها حصاراً شديداً وقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وانهـزم من بقى إلى المقوقس وأحب عـمرو بن العاص مـلاطفة المقوقس فسـير إليه ابنته مكرمة فى جمـيع ما لها مع قيس بن أبى العاص السـهمى فسر المقوقس بقدومها . وكان هذا العمل من عمـرو بن العاص يدل على حسن سياسة وبعد نظر .

حصن بابليون

بقى من حصن بابليون إلى نحو أوائل القرن العـشرين ما يدل على ما كانت عليه هيئة وعظمة خطره وكان الفضل للقبط فى حفظ تلك البقية إذ إجتمعت لهم كنائس عدة فيه منذ أول عهد النصرانيـة لأنهم وجدوا وراء أسواره منعة لهم فى أيـام المحنـة والشدة . وموضع هذا الحصن مصر القديمة ويطلق عليه الآن قصر الشمع .

ولكن الحصن خرب تخريباً يرثى له منذ احتـلال الانجليز لمصر وبعد أن شعر أهله عند ذلك بالإطمئنان والأمن فقد أصبح الأمن مستقـراً لا حاجة معه إلى الأسوار المنيعة وصار القبط واليونان واليهود وكأنهم يتبارون فى هدم أسواره .

حصار حصن بابليون وفتحه

كان ذلك الحصن منيعاً ولابد أن تطول بهم مـدة حصاره وكان المسلمون فى ذلك الوقت أربعة آلاف رجل أو أقل وأرسل عـمر بن الخطاب رضى الله عنه . المدد فى اثنى عشر ألف مقاتل معهم الزبير بن العـوام ولما علم عمرو بن العاص بقدوم الزبير تلقاه ثم أقبلا يسيران فلم يلبث الزبير أن ركب ثـم طاف بالخندق الذى حفره القبط حول الحصن ثم فرق الرجال حول الخندق . وكان الزبير رضى الله عنه من الشجعان المعروفين فقال : إنى أهب نفـسى لله أرجو أن يفـتح الله بذلك على المسلمين فـوضع سلماً على جـانب الحصن ثم صعد فأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجـيبوه جميعاً فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومـعه السيف فلم يشك الروم أن العرب قـد اقتحموا الحـصن فهربوا وعمد الزبير وأصحابه إلى الباب ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن وفر القبط إلى الجزيرة (جزيرة الروضـة) وتم بذلك فتح الحصن وكان على يد البطل الزبيـر بن العوام وتحت قيادة عمرو ابن العاص .

فتح الاسكندرية

ثم كـتب عمـرو بن العاص إلـى عمـر بن الخطاب يستـشـيره فى المسـير لفـتح الاسكندرية فلما وصلت موافقة الفاروق توجه إلى الاسكندرية وحاصرها وكان الروم قد جمعوا جموعهم فيها فتقاتل الجيشان ثم فتحها الله على المسلمين .

فتح زويلة وطرابلس

لما فتح عمـرو بن العاص الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب حـتى قدم برقة فصـالح أهلها على الجزية . ثم فـتح بعدها زويلة وطرابلس ثم جاءته الأوامـر بالتوقف هناك وأن يسـتخلف على ليـبيا عـقبـة بن نافع الفهـرى الذى كان قائد الفـتح فى بلاد المغرب، ثم رجع إلى الفسطاط فأقام هناك آثاراً عظيمـة يذكرها التاريخ بالفخر والاعتزاز فقد بنى مدينة الفسطاط وجامع عمرو بن العاص وهو أول مسجد بنى فى مصر .

عمرو بن العاص وشعب مصر

لقد فتح عمرو بن العاص قلوب المصريين قبل أن يفتح أرضهم لقد كان يدرك أن مهمة الجيش هى تحرير الناس قبل تحـرير الأرض . بل إن أهل مصر كانوا عوناً لعمرو

على محاربة الروم . وكان يقول لهم : يا أهل مصر لقد أخبرنا نبينا أن الله سيفتح علينا مصر وأوصانا بأهلها خيراً قال ﷺ : « ستفتح عليكم بعدى مصر . فاستوصوا بقبطها خيراً . فإن لهم ذمة ورحماً » . والقرابة التى بين العرب والمصريين هى من ناحية (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام جد العرب .

ولم يسمح عمرو بن العاص بشبر من الأرض لأى جندى من جنوده إلا عن طريق الشراء ولم يكن الفتح إلا عماراً وإزدهاراً وبقى عمرو بن العاص أميراً على مصر في عهد عمر بن الخطاب وجزءٍ من خلافة عثمان بن عفان .

عزل عمرو بن العاص

تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة وكانت الحروب ضد الروم تستلزم أمولاً كثيرة وكان خراج مصر فى تناقص مستمر فعزل عثمان عمرو بن العاص من ولاية مصر .

وقد تألم عمرو ألماً بالغاً لعزله عن منصب كان يرضى طموحه .

قتل عثمان بن عفان وخلافة على

قتل الخليفة عثمان بن عفان وآلت الخلافة إلى على بن أبى طالب واستطاع القضاء على بعض حركات التمرد ولو أن علياً ترك معاوية على ولاية الشام لما حدث الخلاف بينهما ولما أعلن معاوية استقلاله بولايته . ولقد أفاد عمرو بن العاص معاوية بدهائه حيث أتى بمكيدتين : المكيدة الأولى فى معركة صفين ، وهى إشارته برفع المصاحف فى وجوه أصحاب على و أما المكيدة الثانية فهى خداعه لأبى موسى الاشعرى يوم التحكيم حتى خدعه وقدمه على نفسه فخلع صاحبه وثبت عمرو صاحبه .

اتفاق عمرو ومعاوية

فى معركة صفين هال عليا كرم الله وجهه أن تراق دماء المسلمين وأن يرى جثث المسلمين تملأ أرض المعركة فخرج إلى ساحة القتال ونادى على معاوية يا معاوية علام يقتتل الناس هل نتبارز فيكون الأمر لمن غلب فقال عمرو : والله لقد أنصفك الرجل فأقسم معاوية على عمرو بن العاص أن يخرج إلى مبارزة على بن أبى طالب فلبى الأمر ونزل إلى ساحة القتال وهو يعرف مقدرة علىّ فى استخدام السيف إلا أن عمرو بن

العاص كـان يعرف كيف يحسن الخـروج من أى موقف وما كـاد يواجه ابن أبى طالب حتى سـقط على الأرض وأبدى عورته وهو يعلم أن عليـاً قد كرم الله وجـهه عن النظر إلى عورات المنهزمين ونجا عمرو بن العاص من الموت بهذه الحيلة .

واشتـرط عمرو على مـعاوية أن تكون ولاية مـصر هى ثمن مـؤازرته ونصرته له على عليّ وكـان لعمرو دور كـبيـر فى ذلك فقد وقف إلـى جانب معـاوية فى معـركة صفين.

عودة عمرو بن العاص إلي مصر

عاد عمرو بن العاص إلى مصر مرة أخـرى والياً عليها وكان يحرص على بناء ما تهدم فى عهد من قدم بعده فى خلافة عثمان وعلى رضى الله عنهما .

وفى آخر أيامه كان عمرو يقول داعياً :

اللهم قد آتيت عـمروا مالاً فـإن كان أحب إليك أن تسلبه مـاله ولا تعذبه بالنار فاسلبـه ماله وآتيت عمـروا أولاداً فإن كان أحب إليك أن تُفْـقِد عمـروا ولده ولا تعذبه بالنار فاثكله ولده . اللـهم إنك آتيت عمرواً سلطاناً فـإن كان أحـب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار .

وكان يقول على فراش الموت .

اللهم لست بالقوى فانتصر ولا بالبرئ فأعتذر ولست متكبراً ولكن مستغفراً لا إله إلا أنت .

ولكن حكمة الله شـاءت أن يكون مثوى عـمرو الأخير على أرض مـصر . التى فتحها وبنى أول مسجد على أرضها .

***

الزُّبيرُ بن العوّام

حوارى رسول الله ﷺ

نسبه ونشأته

هو الزُّبيرُ بنُ العوامِ بن خـويلد بن أسد عبد العزى بن قـصى بن كلاب . يلتقى نسبه مع النبى ﷺ فى قصى ، وأمه صفيـةُ بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ . كان اسمه فى الجاهلية والإسلام : الزبير ويكنى بأبى عبد الله .

تربى الزبير منذ الطفولة على الخشونة فكانت أمه تضربه ضرباً شديداً ليتعود على الحياة القاسية .

وتقول صفية بنت عبد المطلب : إنى أضربه كى يلب ويجسر الجيش ذا الجلبْ .

وذات يوم تقاتل الزبير وهو غلام مع غلام فـكسر الزبير يده . فكان ذلك مدعاةً لفخر أمه بشجاعته وإقدامه .

وكان رغم ذلك عـفيفـاً تقياً ورعـاً غير بـاغ ولاعاد واكتـسب من آبائه وأجداده البطولةَ والثباتَ والعزمَ .

إسلام الزبير بن العوام

كان الـزبير بن العـوام ـ رضى الله عنه ـ من السابقين الأولين إلى الإســلام فكان خامسَ من أسلم من الرجال وهو ابن ست عشرة سنة .

ولما بلغ عَمَّــه أن الزبير بن أخيه أسلم كـان يُعَلِّقُه فى حصيـر ويدخن عليه بالنار ليرده إلى الكفر ولكن الزبير الذى اطمأن قلبه إلى الإيمان كان يقول :

« **لا أكفرُ أبداً** » .

وبعد ذلك كان الزبير رضى الله عنه موضع ثقةِ النبى ﷺ وقد أكرم الله الزبير بن العوام بأنه لم يسجد لصنم قط . وهو أول من سل سيفاً فى الإسلام على الكفار فذات يومٍ سمع إشاعة أن النبى ﷺ قد قُتِل فخرج الزبير شاهراً سيفه فلقيه النبى ﷺ فقال له : « مالك يا زبير ؟ » قال : سمعت يارسول الله أنك قد قتلت . قال له الرسول ﷺ « فما كنت صانعاً ؟ » . قال : أردت والله أن أستعرض أهل مكة ، ـ يعنى يُجْرِى دماءهم ـ بألا يترك أحداً منهم إلا قَتَله .

الهجرة إلى الحبشة

اشتد إيذاء قريش للمسلمين فأمرَ النبى ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم من ظلم قريش واضطهادها وطمأنهم الرسول أن بالحبشة مَلِكاً لا يُظْلَمُ أحدٌ بأرضه .

فخرج بعض الصحابة مهاجرين إلى الحبشة وكان منهم : جعفر ابن أبى طالب وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ابن العوام حتى وقعت حرب بين النجاشى وبعض خصومه الذين جاءوا بجيش كثيف ليحاربوا النجاشى ويسلبوه مُلْكَهُ .

وعندما استمرت الحرب بين الجيشين المتقاتلين قلق المسلمون لشأن النجاشى فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَنْ رَجُلٌ يخرج حتى يَحْضُرَ وقعةَ القومِ ثم يأتينا بالخبر ؟ فابتدر فتى قريش : الزبيرُ ـ بكل ما عرف عنه من جرأة وإقدام ـ قائلاً : «أنا ياقوم آتيكم بخبرهم إن شاء الله » . فنفخوا له قِرْبَةً فجعلها فى صدره ثم سبح عليها فى نهر النيل حتى وصل إلى ناحية النهر التى يلتقى عندها الجيشانِ .

وعندما انتهت المعركةُ عاد الزبيرُ إلى المسلمين ليبشرهم بانتصار النجاشى على أعدائه .

وكان خبر الزبير بشرى عظيمةً فرحَ بها المهاجرون من المسلمين فرحاً شديداً.

خاض الزبيرُ مع النبى ﷺ غزوة بدرٍ وكان الزبيرُ متميزاً بين الجموع بعمامته الصفراء وإقدامه وجرأته ، وفى بدر التقى الزبيرُ بعمه المشرك (نوفل بن خويلد) فلم تمنعه قرابتُه من أن يَصْرَعَه ويردُيه قتيلاً كما قتل الزبيرُ فى بدر عُبيدَةَ بن سعيد بن العاص.

وأنزل الله جندَه من الملائكــِة الذين شاركــوا فى بدر على سيماء (هيـئة) الزبير فقــد كانت عليهم عمــائمُ صفرٌ فقــال رســول الله ﷺ : « لقد نزلت الملائكة على سيماء الزبير » .

غزوة أحد

شَهِدَ الزبيرُ غزوةَ أُحد فكان من الذين ثبتوا مع النبى عليه الصلاةُ والسلامُ .

ولما قتل حمزةُ رضى الله عنه فى هذه المعركة أقبلتْ أُختُه صفيةُ بنتُ عبدِ المطلب (أمُّ الزبير) لتنظرَ إليه فقــال رسول الله ﷺ : « إلْقَهَا فارْجعْها لا ترى مــا بأخيها » فقال لها الزبيرُ بن العوام : « يا أُمَّهْ إن رسولَ الله ﷺ يَأمُرُكِ أن ترجعى » .

غزوة الخندق

لم يتخلف الزبيــر بن العوام رضى الله عنه عن غزوةٍ غــزاها الرسول ﷺ وفى غزوة الخندق كان أوَّلَ من تطوعَ وكلما طلب الرسول ﷺ أحداً إلى القتال هَبَّ الزبيرُ يجيبُ النداءَ فقال النبى الكريم ﷺ :

« لكل نبى حَوَارِىٌّ وإنَّ حَــوَارِيَّ الزّبيرُ » وكان الزبير رضى الله عنه كــذلك أحد قادة فتح مكة مع خالد بن الوليد ولقد لقى رسول الله ﷺ ربَّه وهو راض عن الزبير ومع طول صحبته للنبــى ﷺ لم يكثر من الرأوية عنه بل كان قليل الراوية عن رسول الله ﷺ ، فعن عبد الله بن الزبير قال : قلت للزبير : ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ قــال : أما والله إنى لم أفارقــه منذ أسلمــت ولكن ســمعته ﷺ يقول: « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فلا أحب أن أحدث عنه .

كان رضى الله عنه يخشــى أن ينسى أو يخطئ فى رواية الحديث عن النبى ﷺ فيــقل ما لم يقــله النبى عليه الصــلاة والسلام ولذلك كــان قليل الحديث عن الــرسول ﷺ .

بيعة أبي بكر وحروب الردة

لما توفى رسول الله ﷺ كــانت البيعة إلى أبى بكر وبعــد أن استقرت الخــلافة لأبى بكر صعد على المنبر ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس قد وُلِّيت عليكم ولست بخــيركم فإن أحســنت فأعــينونى وأن أسأت فقــومونى . الصــدق أمانة

والكذب خيانة والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له الحق إن شاء الله . لا يدع أحدٌ منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل . أطيعونى ما أطعت الله ورسولهُ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله » .

وحدثت الردة ـ فى بعض أقوام من العرب ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد أرسل بعض رؤساء القبائل وفوداً منهم إلى المدينة إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأخبروه أنهم يقيمون الصلاة ولكنهم يمتنعون عن إيتاء الزكاة . فأجابهم أبو بكر رضى الله عنه جواباً قوياً : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه .

كان الزبير رضى الله عنه فى سائر الحروب والمعارك التى شهدها مضرب الأمثال فى الجرأة والإقدام وقد شارك فى حروب الردة . وأبلى فى ذلك أحسن البلاء فى محاربة المرتدين .

معركة اليرموك

شارك الزبير ـ رضى الله عنه ـ فى الفتوحات الإسلامية وفى موقعة اليرموك خاض خالد بن الوليد المعركة ومعه أربعون ألفاً من الجند كان فيهم ألف صحابى منهم نحو مائة ممن شهد بدراً وكان ضمن هؤلاء الزبير بن العوام الذى كان قائداً لإحدى الكتائب التى نظمها خالد بن الوليد . وخرجَت الروم فى عدد كبير وخرج خالد فى أربعين كردوساً .

وفى أثناء المعركة طلب جماعةٌ من أبطال المسلمين فقالوا للزبير: ألا تحمل على أعداء الله فنحمل معك ؟ قال الزبير : إنكم لا تثبتون قالوا : بل نثبتُ يا صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام فتقدمهم الزبير فحمل على الأعداء وحملوا معه . فما واجهوا صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر ثم عاد إلى أصحابه ثم أعاد الكرة ثانية وثالثة حتى أُصيب يومها بجرحين بليغين بين كتفيه . ذلك البطل الذى قال عنه : على بن أبى طالب رضى الله عنه : أنه أشجع الناس .

الزبير وأبو بكر الصديق

كان الزبير بن العوام صديقاً لأبى بكر الصديق رضى الله عنه قبل الإسلام وبعده.

وسارع الزبير بن العوام إلى بيعة أبى بكر ولم يتخلف عن ذلك وهو يعرف قدرَ ومنزلة أبى بكرٍ الصديق وأنه أفضل الصحابة وأنه ثانى اثنين إذ هما فى الغار وكان الزبير أحد أصحاب الشورى عند أبى بكر الصديق وكان خليفة رسول الله يعتمد عليه فى بعض الأمور .

الزبير وعمر بن الخطاب

لما لقى أبو بكر ربه كان راضياً كل الرضا عن الزبير . فقد كان أحد أصحاب الشورى ولم تكن منزلة الزبير عند عمر بن خطاب أقل من ذلك وقال عنه الفاروق عمر: « الزبير ركن من أركان الدين » وقد عرض عليه عمر ولايةَ مصرَ ولكنه رفض وآثر أن يكون غازياً .

فتح مصر

قصد عمرو بن العاص أرض مصر لفتحها وكان معه من القوات عدد قليل فكتب إلى عمر بن الخطاب يطلب إليه المدد فأرسل له اثنى عشر ألفاً من المقاتلين وبعث معهم الزبير بن العوام وكان الزبير بن العوام من أشد الناس حماسة لفتح مصر حيث استشار عمر ابن الخطاب كبار الصحابة فى هذا الأمر وكان الزبير بن العوام أشد حماسة وأكثر رغبة فى النصر أو الشهادة .

وبعد معارك ضارية تحصن الروم فى حصن بابليون فلما أبطأ الفتح قيل أن الزبير وهب الله نفسه وأقبل مع جماعة يقودهم لفتح الحصن بعد أن أعد لذلك الأمر عدته ولم يعق العرب عن ذلك دفاع أهل الحصن وكانوا يفتك بهم المرض ولكن ساعة الهجوم بقيت سراً فلما جاء وقتها أقبل العرب مسرعين تحت جنح الليل ووضع الزبير سلماً على السور ولم يفطن إليه أحد فما شعروا إلا والبطل العربى الزبير بن العوام على رأس الحصن يكبر وسيفه فى يده وإستطاع بذلك أصحاب الزبير أن يصلوا إليه فوق السلم ليهبطوا منه إلى قلب الحصن وكانت حملة العرب الأخيرة على الحصن فى يوم الجمعة السابق لعيد الفصح . وكان خروج الروم منه فى يوم الأثنين وهو عيد الفصح .

وانتهى حصار حصن بابليون فى سنة ٢٠ هجرية بعد أن لبث سبعة شهور .

وكان عـمرو فى هذه الأثناء منصرفـاً إلى عمل آخر فى بابليـون إذ عزم على أن يبنى للمسلمين مدينة جديدة فى السهل الذى يلى الحصن الرومانى بينه وبين جبل المقطم وكان موضع عسكره وقد روى البلاذرى صاحب كتاب فتوح البلـدان أن الزبير هو الذى خطط المدينـة واتخـذ فـيها لنفسـه داراً وجعل فيهـا السلم الذى صعد عليـه إلى سور الحصن .

مبايعة عثمان بن عفان

اختار عمر بن الخطاب ستة من خيار الصحابة ليكونوا لجنة الشورى من بعده وهم عثـمان بن عـفان وعلى بن أبى طالب والزبيـر بن العوام وطلحـة بن عبـيد الله وعـبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص .

وبايع الناس عثمان بن عفان خليفـة بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وبايعه أيضاً الزبير بن العوام

ولما أقبل أهل الكوفة إلى المدينة وحاصروا عثمان أرسل الزبير ولده البطل عبد الله ابن الزبير ليدافع إلى جانب الحسن والحسين عن الخليفة المحاصر ـ وأراد عثمان بن عفان رضى الله عنه أن يستخلف الزبيـر بعده . وقد أصاب عثمان رعـاف شديد سنة الرعاف حتى أنه لم يخرج إلى الحج وأوصى وقال فى إستخلاف الزبير بن العوام .

نعـم الزبيـر أما والذى نفسى بيـده إنه لخيرهم مـا علمت وإن كان لأحـبهم إلى رسول الله ﷺ .

بشارة النبى ﷺ للزبير بالجنة

قال رسول الله ﷺ :

« إن لكل نبى حوارىَّ وحوارىَّ الزبيرُ » .

وذكر الترمذى أن علياً رضى الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ بأذنى يقول : « **طلحة والزبير جاراى فى الجنة** » .

وأخرج الحافـظ الدمشقى فى الأربعين الطوال عن عمـر بن الخطاب قال : رأيت

رسـول الله ﷺ وقد نام فـجلس الزبير يذب عن وجهه حـتى استيقظ فـقال له يا أبا عبد الله لم تزل ؟ قال : لم أزل أنت بأبى وأمى يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : هذا جبريل يقـرئك السلام ويقول لك : أنا معك يوم القيامـة ، حتى أذب عن وجهك شرور جهنم » .

استشهاد الزبير

كان الزبير بن العوام من المعارضين للإمـام على رضى الله عنه وفى موقعة الجمل ناداه الإمـام على وَذَكَّرَهُ بما كـان بينهـما من حب وصـلة وود وقرابة وظل الإمـام على يَـذَكِّرُهُ حتى تعـانقا ورجع الزبير بعد أن ذَكَّرَه علىٌّ بحـديث رسول الله ﷺ فى الفتنة ولما بلغ الزبير رضى الله عنه وادى السـباع رآه عمـرو بن جرموذ فمـشى وراءه فلما نزل الزبير للصـلاة قتله عمرو بن جـرموذ وكان عمره لما قُـتِلَ سبعا وسـتين سنة وقيل ست وستون . رضى الله عن الزبير بن العوام وأحسن إليه جزاء ما قدم .

وكثير من الناس يقولون : إن ابن جرموذ قتل نفسه ، لما قال على : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » .



أسامة بن زيد
أصغر قائد فى الإسلام

نشأتـه

هو أسامة بنُ زيد بن حارثة الكلبىُّ أمه أم أيمن حاضنة النبى ﷺ وكان يسمى: حِبَّ رسول الله .

روى ابن عمر أن النبى ﷺ قال (إن أسامة بن زيد لأحب الناس إلىَّ ، أو من أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وأنا أرجو أن يكون من صالحيكم ، فاستوصوا به خيراً » .

ويقـول رســول الله ﷺ عن أم أيمن « أُمُّ أيمنَ أُمى بعـد أمـى » وذلك لأنهـا أشرفت على تربية ورعاية الرسول الكريم ﷺ بعد أن ماتت أمه آمنة بنت وهب .

زيد بن حارثة

أغـارت إحدى القـبائـل فى الجاهـلية علـى بنى معـن (قـوم زيد) وأسـرت زيد ابن حـارثة مع من أسرت ثم عـرضوا هؤلاء للبـيع فى سوق عكاظ وكـان زيد غـلاماً صغيراً فاشتراه حكيم بن حـزام لعمته خديجة بنت خويلد زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها وقررت أن تقدم الغلام هديةً لزوجها محمد بن عبد الله وما إن علم حارثة أبو زيد بما وقع لابنه حتى حزن عليه أبلغ حُزْنٍ .

وتعلق زيد بن حارثة برسـول الله محمد بن عبـد الله ﷺ تعلقاً شديداً لما رآه من صفات طيبة فى رسول الله ﷺ .

وفى موسم الحج حج قوم من بنى كلب وهم قبـيلةُ زيد فرأوا زيداً بمكّةَ وسرعان ما عرفهم وعـرفوه ولما غادروا مكة عائدين إلى قومهم أخبروا أباه فـخرج حارثة وأخوه كعب إلى مكة فدخلا على محمـد بن عبد الله يقولان له : « يا ابن عبد المطلب يا ابن

هاشم يا ابن سيد قـومه أنتم أهل حرم الله تفكون العانى ، وتطعمون الأسـير ، جئناك فى ولدنا عندك ، فامنُنْ علينا وأحسنْ فى فِدائِه فإننا سنرفع لك فى الفداء » .

قال لهم رسول الله : « من هو ؟ » قال الرجلان زيد بن حارثة نريد افتداءه .

قال رسول الله : ادعوه فخيروهُ ، فإن اختـاركم فَهُوَ لكُمْ بغير فداء وإن اختارنى فو الله ما أنا بالذى أختار على من اختـارنى أحداً » قال الرجلان : قد زدتنا فى النَّصَف وأحسنتَ .

وأمر محمـد ﷺ باحضـار زيد فجـاء زيد فعـرف أبـاه وعمـه فقال رسول الله ﷺ لزيد : « فأنـا مَنْ قد عَلِمْـتَ ورأيتَ صُحبتى لَكَ ، فـاخْتَرْنى أو أخْتَرْهما » فقال زيد : ما أنا بالذى أختار عليك أحداً

أنت منى بمكان الأب والعم . فقـال أبوه وعمه : ويحك يا زيد أتختـار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك فـقال لهما زيد : نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً فما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً .

وذلك لأن زيداً لقى من محـمد ﷺ صدقه وأمانتـه وكرمه وحسن رعـايته ما جعله يفضل البقاء معه على أن يعود إلى قـومه ، وخرج محمد ﷺ بزيد إلى حجر إسماعيل وقال : « اشهـدوا أن زيداً ابنى أرثه ويرثنى » وعند ذلك ظهر السرور والفرح على وجه حارثةَ وكعب وطابت نفسـاهما وانصرفا . فكان زيد يدعى بعد ذلك زيد بن محمـد حتى بعث محمد ﷺ ونزلت الآية الكريمة ﴿ ادعـوهم لآبائهم هو أقْسَطُ عند الله » فأصبح يدعى زيد بن حارثة .

إسلام زيد بن حارثة

كـان زيد رابع من أسلم بعـد خـديجـة ،أبو بكر وعلـى بن أبى طالب ولما أذن الرسول الكريم بالهـجرة إلى المدينة ، هاجر زيد إليـها فآخى الرسول ﷺ بين حـمزةَ وزيد وشهد زيد بن حـارثة بدراً مع رسول الله ﷺ وهو الذى كان البشـير إلى المدينة بالظفر والـنصر ، وزوجه رسـول الله ﷺ أم أيمن حاضنة الرسـول ﷺ فولدت له أسامةَ بن زيد كـما تزوج زيد زينب بنت جحش وهى ابنة عـمة رسول الله ﷺ وهى التى تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن أبطل الله التبنى .

وشهد زيد بعد بدر أحداً والخندق والحديبية . قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : مـا بعث رسول الله ﷺ زيد بن حـارثة فى سرية إلا أمره علـيهم ، ولو بقى لاستخلفه بعده .

ولما سير رسـول الله ﷺ الجيش إلى الشام فى سرية مـؤتة جعل زيد بن حارثة أميراً عليهم وقال : «فإن قتل زيد فجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة » واستُشْـهِدَ زيدٌ فى قتال الروم فى مؤتة من أرض الشـام واستُشْهِدَ جـعفر بن أبى طالب واستشهد عبد الله بن رواحة وبعد أن أُسـتشهد القواد الثلاثةُ استطاع خالدُ بن الوليدِ أن ينقذ الجيش ويعودَ به إلى المدينةِ ، وحَزِنَ أسامةُ بن زيدٍ على استشهاد أبيه حُزْناً شديداً.

أسامة فى رعاية الرسول

عاش أسامة فى رعاية الرسول ﷺ وكان يطلق عليه حِبُّ رسولِ الله وابن حِبِّهِ وبلغ حُبُّ النبى الكريم لأسامة أنه كان يركب خلفه على البغلة البيضاء فى فتح مكة .

روت عائشة رضى الله عنها : أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، وتملكهم الرعب والخجل من أن تُقْطَعَ يدها ، تنفيذاً لحَـدِ الله ، وتشاوروا فيما بينهم : من يجسر على مفاتحة النبى ﷺ فى هذا الأمر ، لعله يعـفو ويصفح ؟ وأخيراً استقر رأيهم على أن يعهدوا إلى أسامة بن زيد أن يتشفع لهذه المرأة عند النبى ﷺ لثقتهم أن النبى لا يرد طلباً لأسامة .

وطلب أسامة من النبى ﷺ أن يصفح عن المرأة ولكن الرسول ﷺ قال فى غضب « أتشـفع فى حد من حـدود الله يا أسامة ! » وهنا يخـطب الرسول ﷺ فى الناس فيقول : - ﷺ -

« إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضـعيف أقـامـوا عليه الحـد ، وأيـم الله لو أن فاطـمـة بنت محـمـد سـرقـت لقطع محمد ﷺ يدها » .

بطولة أسامة

أقبل أسـامة بن زيد يوم أحد يريد القـتال مع المسلمين وهو ابن أربع عـشرة سنة

فرده الرسول ﷺ لصغر سنه وشهد غزوة الخندق وقد بلغ أسامة الخامسة عشرة من عمره ثم شهد أسامة الغزوات الأخرى تحت لواء الرسول ﷺ وشهد غزوة مؤتة تحت لواء أبيه زيد بن حارثة .

وفى يوم حنين تحرك جيش المسلمين من مكة ونظر المسلمون إلى عددهم والسلاح وأدوات الحرب التى معهم فأخذهم الزهو بهذا الجيش الكبير بكثرة الرجال والسلاح وعندما بلغ المسلمون وادى حنين انهالت عليهم النبال من كل اتجاه وقد أبلى أسامة يوم حنين بلاءً حسناً وثبت مع أحد عشر مؤمناً حين تقهقر المسلمون إلى الوراء على أثر هذه المفاجأة واستطاع الرسول ﷺ أن يجمع الجيش من جديد وأن يعود المسلمون إلى القتال وكان التحام الفريقين عنيفاً واستطاع المسلمون هزيمة العدو .

وكان أسامة بن زيد فى السادسة عشرة من عمره واستطاع أن يثبت أمام هذه المفاجأة مع أحد عشر مؤمنا قرروا ألا يتقهقروا ومنهم أبو بكر وعمر والعباس عم النبى وعلى بن أبى طالب وأسامة بن زيد رغم صغر سنه .

النبى يولى أسامة أمر الجيش

ترك أمر شجاعة أسامة يوم حنين أعظم الأثر فى نفس النبى ﷺ وأمام ثبات وعزم أسامة قرر النبى ﷺ أن يتولى أسامة أمر الجيش ، وكان النبى ﷺ يفكر فى غزو الروم وكان الروم يتربصون بالمسلمين فرأى النبى ﷺ أن يبعث جيشاً إلى الروم ولم ينس استشهاد كل من زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة فى غزوة مؤتة . ففى السنة الحادية عشرة من الهجرة أمر الرسول بتجهيز جيش عظيم كان فيه كبار الصحابة أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة ابن الجراح رضى الله عنهم وجعل قيادة الجيش فى يد أسامة بن زيد وكان أسامة عمره فى ذلك الوقت فى العشرين من عمره .

وتأخر تجهيز الجيش لمرض الرسول ﷺ فخرج الرسول الكريم إلى المسجد عاصباً رأسه وخطب فى المسلمين قائلاً :

« أيها الناس أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق بالإمارة ، وإن كان أبو لخليقا بها » .

عاد الرسول ﷺ بعد أن ألقى هذه الخطبة إلى بيت عائشة يوم السبت وفى يوم الأحد اشتد المرض بالرسول ﷺ وجاء أسامة إلى بيت الرسول من موضع الجرف حيث عسكر الجيش فوجده لا يتكلم وهنا انحنى أسامة حتى قبله النبى ﷺ فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة فعرف أسامة أنه يدعو له .

ولكن الرسول الكريم لحق بربه قبل أن ينطلق أسامة إلى لقاء الروم .

فى خلافة أبى بكر

بعد موت الرسول الكريم ﷺ ، تردد المسلمون فى إرسال جيش أسامة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه « والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تتخطفنى لا نفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ » .

ورغم أن موقف أبى بكر كان صريحاً وقاطعاً فى إرسال جيش أسامة إلى الروم ، فإن الأنصار ذهبوا إلى عمر وطلبوا منه أن يذهب إلى أبى بكر وينقل رغبتهم فى تعيين قائد للجيش أكبر سناً من أسامة بن زيد . ولما سمع أبو بكر رسالة الأنصار من عمر ، ثار أبو بكر رضى الله عنه وأخذ بلحية عمر وقال له وهو غاضب : « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه ؟!! » .

وهنا أعلن أبو بكر أنه سيتبع كل أوامر الرسول ﷺ . فلا مجال للجدال فيما أمر به الرسول ﷺ .

وصية أبى بكر للجيش

أمر أبو بكر بتجهيز الجيش للغزو ، ولما أكمل الجيش عدده وعدته بالجرف راح أبو بكر يودع جيش أسامة ماشياً وأصر على بقاء أسامة راكباً ليزيد الناس لإمارة أسامة إذعاناً وتسليما فقال أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله ! فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه » .

ولما أراد أبو بكر أن يرجع قال لأسامة : إن رأيت أن تعيننى بعمر فأفعل فأَذِنَ له وقبل أن يعود أبو بكر إلى المدينة ، وقف فى جيش أسامة يقول : « يا أيها الناس ،

أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تُقْدِمُون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا بعد فاذكروا اسم الله عليه وستلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها . مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقاً . إندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون » .

أسامة يثأر للمسلمين

سار أسامة فى ثلاثة آلاف من المقاتلين المؤمنين حتى وصل إلى البلقاء التى دارت فيها المعركة التى استشهد فيها زيد بن حارثة وجعفر ابن أبى طالب وعبد الله بن رواحة واستطاع فيها أن يعود خالد بن الوليد بالجيش إلى المدينة بعد أن تكسرت تسعة أسياف فى يده وهو يقاتل .

وبعد عشرين يوماً من مسيرة أسامة نزل بجيشه إلى القرى التى حددها له الرسول ﷺ وأبو بكر وقاتل الكثير من أهلها تلك القرى التى ساندت الروم على جيش المسلمين فى معركة مؤتة ولقد نفذ أسامة أمر رسول الله ﷺ وأَمْرَ خليفة رسول الله بعده وعاد إلى المدينة بعد سبعين يوماً من مغادرته لها ـ ودخل أسامة المدينة ممتطياً الفرس الذى استشهد عليه أبوه زيد بن حارثة يوم مؤتة .

لقد استطاع أسامة أن ينتصر دون أن يفقد رجلاً واحدا إذ كان رسول الله ﷺ يقول عنه : إنه لخليق بالإمارة . . .

عمر يكرم أسامة

لما أراد عمر بن الخطاب رضى الله عنه توزيع الأنصبة من بيت المال فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف درهم بينما فرض لابنه عبد الله بن عمر ألفى درهم ، فقال ابن عمر : فضلت على أسامة وقد شهدت ما لم يشهد ؟

فقال عمر : إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ، وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك » .

لقد كان أسامة موضع ثقة الناس وإجلالهم ، شجاعاً مقداماً راجح العقل شديد الورع ، واسع العلم بأمور الدين ، يستفتيه الناس فى أمور دينهم ، كما روى عن الرسول ١٢٨ حديثاً .

عاش أسامة بعد رسول الله ﷺ فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية. فقد كان محبوباً من جميع الخلفاء .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما كنت لأحيى أحداً بالإمارة غير أسامة ، لأن رسول الله ﷺ قبض وهو أمير .

وفاة أسامة

بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل أسامة الناس وعكف على العبادة والصلاة ولم يتدخل فى الفتن بعد مقتل عثمان وفاء لعهده الذى قطعه على نفسه ألا يقاتل من يقول « لا إله إلا الله » .

وتوفى آخر أيام معاوية سنة أربع وخمسين من الهجرة بالجرف ، وحمل إلى المدينة ودفن بها . رضى الله عن أسامة بن زيد . وعن أبيه زيد بن حارثة وأمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ .



عقبة بن نافع الفهرى
فاتح إفريقية

نشأته

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر الأموى القرشى الفهرى وأمه سبية من قبيلة عنزة اسمها النابغة وبينه وبين عمرو بن العاص قرابة من ناحية الأم . ويلتقى نسبه رضى الله عنه بنسب رسول الله ﷺ فى فهر بن مالك .

ولد عقبة بن نافع فى مكة قبل الهجرة بسنة واحدة فنشأ على الفروسية ومظاهر البطولة والشجاعة وبنو فهر معروفون بالشجاعة والفروسية ولهم تاريخ مشرف فى الحروب والمعارك وكان عقبة بن نافع مثالا للمسلم المؤمن الشجاع الحزم جعل حياته كلها للجهاد فلم يهتم بجمع المال أو الغنائم وعمل على نشر الإسلام فى مناطق كثيرة من إفريقية وكان شديد التدين وعرف عنه الإقبال على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولما كلف عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بفتح الشام جعل عمرو بن العاص عقبة بن نافع على مقدمة الجيش .

وأظهر عقبة بن نافع شجاعة عالية فى اقتحام صفوف الأعداء وقتل الكثير منهم .

فتح مصر وليبيا

رغم أن جيش عمرو بن العاص كان قليل العدد إلا أنه استطاع أن يهزم الروم وكان معه عقبة بن نافع الذى أظهر مقدرة عالية فى قتال الأعداء وكان له دور كبير فى هذا الفتح وقد اكتسب عقبة بن نافع من معارك فتح مصر خبرة فى إدارة القتال من عمرو بن العاص القائد الكبير وعندما وصل عمرو بن العاص إلى الاسكندرية أراد تأمين

حدود مصر من جهة الغرب حتى لا يعـود الروم مرة أخرى لغزو مصر وفى سنة إحدى وعشرين سار عمرو بن العاص وعقبة بن نافع على رأس جيش إلى برقة فافتتحها عمرو بن العاص صلحاً على الجزية وقد تمثل هذا النجاح فى أن اسـتتب الأمن ثم بدأ التمهيد لافتـتاح إفريقـية بالاستيـلاء على المناطق الداخلية فى برقـة وطرابلس الغرب فاسـتولى المسلمون على ودان وصبـرة وقاد عقبة بن نافـع المسلمين فأحرز انتصارات هامـة وافتتح زويلة صلحاً .

وكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه « أنه قد ولى عقبة بن نافع الفهـرى أمر المغرب فـبلغ (زويلة) وأن من بين زويلة وبرقة سلم كـلهم ، حسنة طاعتهم ، قد أدى مسلميهم الصدقة وأقر معاهدتهم بالجزية » .

واستأذن عمـرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب فى متـابعة الفتح وانتظر رأى عمر بن الخطاب وكان رأى عمر هو عدم التوغل فى إفريقية ورأى أن المسلمين فى حاجة إلى فترة هدوء ليـثبتوا أقدامـهم وحتى يزيد عدد الجيش فيـستطيع قتال القبـائل الكثيرة الموجودة بالصحراء .

ورجع عمرو بن العاص إلى مصر ولكنه أمر عقبة بن نافع بأن يقيم فى برقة حتى يعلم المسلمون أمور الدين واستطاع أن يعلم البـربر أمور وقواعد الدين حتى أسلم على يديه الكثير من البربر وظل فى برقة أربع سنوات .

لما تولى عثمـان بن عفان رضى الله عنه الخلافة عزل عـمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى عبد الله بن سـعد بن أبى سرح وكتب عبد الله بن سعد يسـتأذن الخليفة فى فتح إفريقية فشـجعه عثمان بن عفان على فتح إفريقـية وفى سنة ست وعشرين سار ابن سرح إلى برقة وكان معه جيش بلغ تعداده عشرين ألف رجل والتقى بعقبة بن نافع ومن معه من المسلمين فى برقة فـساروا جميعاً إلى طرابلس الغرب فـتصدى لهم جيش الروم بقيادة (جـرجير) فانتصر المسلمـون عليهم فى سبيطلة ورجع عبد الله إلـى مصر وأقام عقبة بن نافع فى برقة وبذلك انتزع من الروم فكرة تهـديد المسلمين وشهد عقبة بن نافع جميع فـتوحات ابن أبى سرح فى إفـريقية وظل عقـبة يحمى البلاد من هـجمات الروم فيتصدى لهم ويقاتلهم فى البر والبحر .

وعندما بدأ الخلاف بين على ومعاوية فترت حرارة الجند فى كل الدولة الإسلامية وانصرف المسلمون عن الفتح .

وانتهى الأمر عام الجماعة إلى تولية معاوية بن أبى سفيان الخلافة وتولى عمرو بن العاص ولاية مصر للمرة الثانية وأراد عمرو ابن العاص أن يستمر فى الفتوحات التى بدأها فى برقة ورأى أن خير من يقوم بهذه الفتوحات هو عقبة بن نافع وكان عقبة بن نافع ما يزال على حامية برقة وقد أكسبته هذه الإقامة الطويلة خبرة بطبيعة أهل المنطقة وبشئون القبائل البربرية .

واستدعى عمرو بن العاص عقبة بن نافع ليتولى قيادة الجيش الذى سيتم إرساله إلى برقة لاستئناف الفتوحات فى هذه المنطقة .

عقبة يواصل الفتح

سار عقبةُ إلى بعض قبائل البربر الذين نقضوا العهد وأظهروا العصيان فقاتلهم عقبة وألحق بهم شر هزيمة فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم فأبى عليهم ذلك لأنه تبين فى أعمالهم الغش والخداع وقال لهم إنه ليس لمشرك عهد وإن الله عز وجل يقول فى كتابه : « كيف يكون للمشركين عهد » .

وفى سنة اثنتين وأربعين سار إلى مدينة غدامس غربى سرت ففتحها وأشاع فى قلوب أهلها الرعب حتى لا تحدثهم نفوسهم بالثورة والتمرد واستخلف فيها عمر بن على القرشى وزهير بن قيس البلوى .

واتجه إلى قبيلة ودان وكانت قد ارتدت عن الإسلام بعد أن ترك المسلمون القبيلة فحاربهم عقبة حتى أخضع القبيلة وحاولت القبيلة صد المسلمين ولكن عقبة والمسلمين هزموهم وأسروا ملكهم ودفع الجزية ملك ودان وأكد أنه لن يعود إلى عدم دفع الجزية ومحاربة المسلمين .

ثم اتجه إلى فزان وكان ملك فزان وثنياً لا يؤمن بالله واستطاع عقبة أن يخضع فزان وأن تدفع الجزية ومقدارها ثلاث مائة وستون بعيراً وكان عقبة بن نافع يترك فى كل قرية أو مدينة بعد فتحها مجموعة من المسلمين يعلمون أهلها قواعد الدين وأحكامه واللغة العربية ولذلك ازداد عدد المسلمين .

عبقرية عقبة العسكرية

أطمأن عقبة بن نافع إلى ما تحقق من نصر بعد فتح بلاد فزان وكان من الطبيعى أن يلجأ إلى الراحة والهدوء بعض الوقت ولكن عقبة رفض ذلك وتأهب لمعركة من أخطر المعارك حيث تقع بلاد « كاوار » فسار إلى مدينة خاوار عاصمة هذه البلاد وكانت خاوار تقع على جبل مرتفع وفى مقدرة أهل المدينة صد العدو إذا حاول تسلق الجبل ولكن عقبة استطاع أن يصل إلى أسوار المدينة رغم كل هذه الصعوبات ودعا أهلها إلى الإسلام فأبوا وطلب الجزية فامتنعوا وأقام على حصارها شهراً كاملاً دون فائدة ولما تبين له أن دخول المدينة أصبح مستحيلاً تراجع عقبة بجيشه وغاب عن المدينة ثلاثة أيام حتى آمن أهلها وفتحوا أبواب الحصون وأبواب مدينتهم مطمئنين وكان عقبة قد عرف أن هناك طريقاً آخر لهذه المدينة تقيم بعض القبائل على جانبه وأراد إخضاع هذه القبائل ثم دخول المدينة .

سار عقبة وأخضع القبائل الموجودة على جانبى الطريق ولكن هذا الطريق كان مقفرا لا ماء فيه وأصاب الجيش عطش شديد كاد أن يقتل عقبة وجيشه .

وكان عقبةُ قوى الإيمانِ بالله تعالى فصلى ركعتين ثم أخذ يدعو الله وماكاد يفرغ من الدعاء حتى التفت فوجد فرسه ينبش الأرض حتى حدثت المعجزة وتفجر الماء من تحت صخرة .

ونادى عقبة فى الجند وأمرهم أن يحفروا سبعين حفرة فشربوا جميعاً وسقوا خيولهم فسمى ذلك المكان لذلك (ماء فرس) .

وكانت عودة عقبة إلى خاورا مفاجئة إذ دخل المدينة ليلاً وأهلها مستغرقون فى النوم فقد طبق بهذه الخطة مبدأ من مبادئ العسكرية وهو مبدأ المباغتة ودخل من طريق غير الطريق الذى أقبل منه عليها أولاً .

وكان قد تغلب عقبة على مدينة خاورا بقوات قليلة خفيفة لأن الحركة فى الصحراء صعبة جداً بقوات كبيرة وذلك لقلة المياه فيها

بناء القيروان

وعند موضع القيروان (الآن) نزل عقبة بجنده وكان موضعها واديا فيه من أنواع السباع والأفاعى والحشرات الكثيرة وأمر عقبة بأن يطهر الجند المكان من الأفاعى والسباع والحشــرات وأن تقطع الأشجار وأمر ببناء القــيروان وبنى المسجــد الذى يطلق عليه اسم جامع عقــبة بن نافع وقد استــغرق العمل فى القيــروان نحواً من أربع سنوات وازدهرت المدينة بسرعة فــائقة ساعد عليهــا الموقع الجغرافى وكانت على امــتداد الخط البرى الذى يصل بينها وبين مصر .

وأصبحت القيروان مركز تجمع ' .ش المسلمين يتدربون على فنون الحرب وتنطلق منها الجيوش إلى المهام العسكرية .

وأتم عقبة بناء القيــروان سنة خمسة وخمسين للهجرة ودخل كـثير من البربر فى الإسلام وبعد هذا الاتساع قال عقبة لرجاله :

« إن إفريقيــة إذا دخلها إمام أجابوه لــلإسلام ، فإذا تركها رجــع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر ، فــأرى لكم يا معشــر المسلمين أن تتخذوا مــدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر » .

عزل عقبة بن نافع

فى سنة خمس وخمســين من الهجرة عين معاوية بن أبى سفيــان خليفة المسلمين مسلمة بن مخلد الأنصارى والــياً على مصر والمغرب وعزل عقبة بن نافع فــعمد مسلمة إلى تعيين مولــى له هو أبو المهاجر بن دينار فلما اســتلم أبو المهاجر منصبــه أساء وغزل عقبة وسجنه وكبله بالحديد وكان أبو المهاجر قد أمر بنقل المسلمين من مدينة القيروان إلى قرية تسمى دكرور قريبــة من القيروان ولم يكن عزل عقبة عن إفريقــية لذنب اقترفه أو تقصير ولكنه كان مكافأة لمسلمة بن مخلد وأبى المهاجر بن دينار تقديراً لهما على توطيد أركان الحكم الأمــوى وما إن عــرف معاوية بن أبى ســفيــان بما حدث لعقــبة حــتى أمر بإطلاق سراحه .

ودعا الله عــقبــة وقال « اللهم لاتُمتْنِى حــتى تمكنى من أبى المهــاجر ابن دينار »

واعتذر له معاوية عما فعله مسلمة بن مخلد الأنصارى وعكف عقبة بن نافع على التفقه فى الدين وهو بعيد عن قيادة جيش إفريقيا مدة سبع سنوات حتى توفى معاوية وتوفى مسلمة بن مخلد .

عودة القائد

وبعد وفاة معاوية خلفه ابنه يزيد فأمر بإعادة عقبة إلى قيادة الجيش فى إفريقية . وما إن تولى قيادة الجيش حتى أمر بوضع القيد فى يدى أبى المهاجر بن دينار وأمر بترحيله إلى القيروان .

أشهر معارك عقبة

وبدأ عقبة بتنظيم جيشه حتى أصبح الجيش مستعداً للغزو والفتح وانطلق الجيش إلى الزاب وكان عقبة يقود الجيش وكانت الأخبار قد وصلت إلى مدينة الزاب فاحتشد أهلها وعزموا على قتال المسلمين والتقى جيش المسلمين مع جيش الروم والبربر وكان التحاماً عنيفاً وخرجت النساء يشجعن المقاتلين وأراد الروم والبربر الهروب والاعتصام بالمدينة ولكن عقبة تبعهم إلى المدينة وأصبح الروم والبربر محصورين بين المسلمين وطلبوا الأمان وأخذ المسلمون الجزية ثم اتجه عقبة إلى مدينة تازولت واستطاع أن يلحق بهم هزيمة قاسية وفرض عليهم الجزية .

وبدأ عقبة بن نافع يستعد لمعركة حاسمة وسار إلى أدنة عاصمة الزاب وقد عرف الروم والبربر بزحف عقبة فاحتشدوا خارج المدينة وهم يعلون مدى خطورة المعركة وأخذت النساء يشجعن الجنود والرجال على قتال المسلمين والتحم الجيشان وكان القتال شديداً وأبدى المسلمون كل كفاح وشجاعة حتى فر الأعداء هاربين إلى مدينتهم وغنم المسلمون الكثير فى هذه المعركة .

وقد أصبح الطريق مفتوحاً أمام عقبة بن نافع إلى طنجة واستطاع حصار طنجة بضعة أيام وإعلان ملكها فطلب الأمان ودفع الجزية وخرج ملك طنجة واسمه يليان لاستقبال عقبة بن نافع . وأمر عقبة الجيش بالتوجه إلى السوس الأدنى وسرعان ما هزم المسلمون البربر واقتحموا مدينتهم وغنموا منها مغانم كثيرة ثم اتجه إلى السوس الأقصى وحشد البربر حشوداً عظيمة وانتهت المعركة بسقوط وسط المغرب الأقصى .

استشهاد عقبة

ثم انطلق عـقبـة من نصر إلى نصـر رافعاً راية الإسـلام حتى وصل إلـى شاطئ المحيط الأطلنطى ثم نظر للمحيط وقال « اللهم لو أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضته غازيا فى سبيلك أقاتل من كفر بك حتى لا يُعَبَد أحد من دونك » . ثم كر راجعاً إلى القيروان وأرسل معظم جـيشه إلى القيروان وأبقى معه حـوالى ثلاثمائة فارس واتجه إلى مدينة تهوده وسرعان ما علم البربر أن عقبة قـد صرف معظم جيشه وبقى معه عدد قليل من الفرسان فـجمع رجل ـ يدعى كسيلة ـ أهلهَ وبنى عمه وقـصد عقبة فلما علـم عقبةُ بذلك تقـدم هو وثلاثمائة من جـنوده لقتـال كسـيلة بن لمزم ومن مـعه فظلوا يقـاتلون ويقـاتلون حتى استشـهد عقبـة بن نافـع وأنشـئ هناك مسـجد يعرف باسم مسجد عقبة ابن نافع ذلك الشـهيد الذى عـمل على إعلاء راية الإسلام فى الـشمال الإفـريقى حتى المحيط الأطلنطى .



قتيبة بن مسلم
فاتح بلاد ما وراء النهر

اسمه

هو أبو حفص ، قتيبة بن مسلم بن عروة الباهلى ، ولد فى العراق سنة تسع وأربعين هجرية ، وقد بدأ فى الدخول فى المعارك وهو ابن سبعة عشر عاماً ، كان قتيبة من قبيلة باهلة ، التى كانت قليلة العدد ، ولم يكن لها شهرة فى الجاهلية فلما جاء الإسلام برز فى القبيلة قائدان كبيران هما : سلمان بن ربيعة الباهلى الذى فتح أرمينية ، وقتيبة ابن مسلم الباهلى .

كانت شخصية قتيبة شخصية قائد حازم وشجاع ، وظهرت فيها الصفات العسكرية والصفات العقلية والسرعة فى اتخاذ القرارات وقد أدت الفتوحات التى قام بها قتيبة إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية .

استطاع قتيبة أن يحظى بثقة الخلفاء الأمويين إذ عين فى عهد الخليفة عبد الملك ابن مران والياً على الرى ثم والياً على خراسان حتى آخر عهد الوليد بن عبد الملك واستطاع قتيبة أن يتوغل بجنوده إلى بيكند وبخارى وسجستان ، وخوارزم ، وسمرقند ، وكاشغر أدنى مدائن الصين .

فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تم فتح خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان ، ثم أمر عمر رضى الله عنه الأحنف ابن قيس أن يتوقف عند نهر جيحون .

وفى عهد عثمان امتد التوسع الإسلامى حتى جنوبى بحر قزوين ، ثم تخطت

الجيوش الإسلامية نهر جيحون ودخلت بلاد ماوراء النهر فى الدولة الإسلامية ، واستولى المسلمون على بلخ وهراة وكابول .

وأدت الفتنة إلى قتل عثمان وتمردت بلادٌ كانت قد ارتبطت بصلح مع الدولة الإسلامية ومع بداية عهد الدولة الأموية بدأت تحركاتها نحو هذه البلاد ، إلى أن تولى الحجاج بن يوسف الثقفى إمارة العراق ، فبدأ التخطيط لإعادة الفتوح وأسند هذه المهمة إلى قتيبة ابن مسلم .

واجه قتيبة صعوبات فى فتح هذه البلاد أهمها طول خط المواصلات بين العاصمة دمشق ومكان الفيالق المهاجمة على حدود الصين وكذلك اختلاف الطبيعة الجغرافية للأرض .

غزو قتيبة بيكند

تقع مدينة بيكند على مسافة أربعين كيلو متراً إلى الجنوب الغربى من بخارى وفى سنة سبع وثمانين هجرية توجه قتيبة إلى بيكند وظل يحاصر المدينة حتى فتحها ، فقتل مقاتليها وهدم سورها ثم جمع غنائمها ، فأخرج منها الخمس فتوجه به إلى الحجاج ابن يوسف ، وكتب إليه يخبره بفتح بيكند ، ثم قسم باقى الغنائم بين المسلمين ، وقوى المسلمون بما أصابوا من غنائم بيكند ، وتنافسوا فى شراء السلاح ، ولقد أصاب قتيبة فى خزائن بيكند سلاحاً كثيراً ، فقسمه بين المسلمين ، وأصاب خزانة مقفلة فأمر بفتحها ففتحت ، فأخرج منها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، وأصابوا صنما عظيماً مصنوعا من الذهب الخالص فأمر قتيبة بإذابته فأذيب فخرج منه خمسون ومائتا ألف دينار وأصابوا لؤلؤتين عظيمتين فعجب قتيبة من كبرهما وضيائهما ، ثم بعث بهاتين اللؤلؤتين إلى الحجاج بن يوسف ولما فرغ قتيبة من فتح بيكند رجع إلى مرو .

فتح بخارى

جمع قتيبة بن مسلم المسلمين وسار إلى بخارى وبها يومئذ ملك عظيم الشأن اسمه معاينون بن راع ومعه أربعون ألفاً ، نزل عليهم قتيبة بجيشه واستمرت الحرب أياماً

كثيرة وأرسلوا إلى قتيبة يسألونه الصلح على أن يعطوه مائتى ألف درهم ، فرضى قتيبة منهم ذلك .

وكان قتيبة أخذ منهم رجلاً أعور أسيراً فقدمه ليضرب عنقه ، فقال : أيها الأمير لا تقتلنى وأنا أفدى نفسى بما قيمته ألف ألف درهم وكان هذا الرجل شيطاناً من شياطينهم ، فقال قتيبة لأصحابه : ما ترون فيما يقول هذا الكافر ؟ فقالوا : أيها الأمير! هذا الذى قد بذله رغبة وزيادة فى الغنيمة فخذ منه ما قد بذل ولا تقتله ، فقال قتيبة : لا والله لا تروع باسمه مسلمة أبداً ! ثم قدمه فضرب عنقه .

فتح مرو الروذ والطالقان والفاريات

سار قتيبة إلى مرو الروذ وكان بها ملك يقال له باذام فقتله قتيبة وقتل له ولداً كبيراً ، وسار إلى الطالقان ، وكان بها صعاليك الترك فحاربهم قتيبة يوماً واحدا وانتصر عليهم ، وقتل جماعة منهم واستعمل على من بقى منهم أخاه عمرو بن مسلم وسار إلى الفاريات ، فلما وصل إليها تلقاه ملكها مذعناً مقراً له بالسمع والطاعة .

ثم سار إلى الجوزجان فتلقاه أهلها سامعين مطيعين ، وهرب ملكها إلى الجبل .

فتح بلاد سجستان وبلخ

جمع قتيبة أصحابه وسار بهم يريد سجستان وكان بها ملك اسمه رتبيل ومعه سبعون ألفاً من الجنود واستطاع قتيبة أن يغير على بلاد سجستان وكره ملك سجستان حرب قتيبة وسأله الصلح ، فأجابه قتيبة على خمسمائة ألف درهم .

ثم سار قتيبة إلى بلخ وكان عليها ملك اسمه الشاه بن نيزك ووقعت الحرب بين الفريقين فاقتتلوا ، فقتل من المسلمين سبعمائة رجل ، وقتل من أهل بلخ عدد كبير وأسر منهم ألف رجل ، وطلبوا الصلح ، فأجابهم قتيبة إلى ذلك .

فتح خوارزم

ثم سارقتيبة بجيشه حتى نزل على خوارزم وبها ملك ضعيف وكان له أخ يسمى خرزاد أصغر منه وكان إذا بلغه أن عند أحد مالاً أو دابة أو بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل ليأخذه وكان لا يمتنع عليه أحد ولا الملك نفسه .

وكتب الملك إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من يضاده ليحكم فيهم بما يرى فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو وأظهر قتيبة أنه يريد الصفد من مرو ، جمع ملك خوارزم الجنود قال : إن قتيبة يريد الصفد وليس يغازيكم فهلموا نتنعم فى ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم فلم يشعروا حتى نزل بهم قتيبة فقال ملك خوارزم لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نقاتله ، قال : لكنى لا أرى ذلك لأنه قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكن أصرفه بشئ أؤديه إليه فأجابوه إلى ذلك ، فأرسل ملك خوارزم إلى قتيبة فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ، ومتاع ، على أن يعينه على أخيه خرزاد فقبل قتيبة . . . وسلم قتيبة إلى ملك خوارزم أخاه ومن كان يحالفه فقتلهم ودفع أموالهم إلى قتيبة ، فأخرج قتيبة من ذلك الخمس فوجه به إلى الحجاج ، وقسم باقى ذلك فى المسلمين .

وأرسل الحجاج إلى قتيبة كتاباً قال فيه : « أما بعد فإنى لست بآسٍ إذا فتح الله علينا وعليك خوارزم وأغتنمنا أموالها ، وخزائنها وغنائمها أن يفتح الله عليك وعلينا ما بعدها ، وقد بلغنى أنك تريد المسير إلى سمرقند ، وأنا أنشدك إن غزوت بالمسلمين ، وأنا أسأل الله أن يعز نصرك ، وأن يحسن عاقبتك ، وأن يمدك بالملائكة المردفين ، وأن يرعب قلوب أهل سمرقند ، وأن يخالف بين كلمتهم ، وأن يلقى بأسهم بينهم ، وأن يورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم وأن يجعل دائرة السوء عليهم إنه على كل شئ قدير - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

معركة سمرقند

أراد قتيبة أن يتجه إلى سمرقند أمنع الحصون وأقوى المدن فى بلاد ما وراء النهر وكان غورك ملك سمرقند قد جمع الجنود واشتبك الفريقان فاقتتلوا مراراً ، ثم تكلم رجل من أهل سمرقند فقال : يا معشر العرب ! على ماذا تقاتلوننا وتدخلون على أنفسكم المشقة والعناء فى أمر لا تصلون إليه ؟ إنا قد وجدنا فى بعض كتبنا أن مدينتنا هذه لا يفتحها إلا رجل اسمه أكاف الجمل ، فانصرفوا عنا ولا تتعبوا خيلكم وتقتلوا أنفسكم ، فقال قتيبة : الله أكبر ! فأنا والله أكاف الجمل ، أنا قتيبة والقتب قتب الجمل - ثم جد فى حربهم فقتل منهم عدداً كبيراً . وخاف أهل سمرقند من طول الحصار

فكتبوا إلى ملك الشـاش ، خاقان ، بأن العرب قد قاتلونا وقـاتلناهم فإن هم ظفروا بنا ساروا إليكم فانظروا لأنفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها .

ودام الحصار شهراً كاملاً ، لكن قـتيبة فوجئ بوصول المدد من أهل الشاش الذين إنتخبوا أهل النجدة والشجاعة من أهل بلدهم لتساند ملك سمرقند .

ولكن قتيبة انتـخب ستمائة فارس من أهل النجدة والشجاعـة وجعل عليهم أخاه صالح بن مـسلم وأعلمهم الخبـر وأمرهم بالمسير إلى عـدوهم واستطاعت هذه الكتيـبة القضاء على النجدات القـادمة من الشاش ، فانهزموا ولم يفلت منهم إلا اليـسير وأسر منهم جماعة .

وعند ذلك تمكن قتـيبة من دك أسوار المدينة بالمنجنيـقات فلما كان الغـد استسلم ملك سمـر قند « غورك » ووقع الصلح مع قتـيبة على ألفى ألف درهم عـاجلة ومائتى ألف درهم فى كل سنة وعلى ثـلاثة آلاف رأس من الرقيق ، علـى أن تخلو المدينة من المقاتلين ويدخل قتيبـة وأصحابـه ويصلى ، وعلى أن يبنوا لقتيبـة مسجداً فى المدينـة «مسجد قتيبة » لإقامة الصلاة ونشر الإسلام .

فتح كاشغر أدنى مدائن الصين

وبعد أن فتح قتيبة سمرقند تمكن من فتح طاشقند وفرغانة وفى سنة ست وتسعين اتجه قتيبة إلى الصين .

وحشد قتيبة حوالى واحد وأربعين ألفاً من الجنود ولما رأى ملك الصين ذلك كتب إليه ملك الصين أن ابعث إلى رجلاً شـريفاً يخبرنى عنكم وعن دينكم ، فانتخب قـتيبة عشرة لهم جمال ، وألسن ، وبأس ، وعقل .

فلمـا مـثلوا بين يدى ملك الصين قـال : قـد رأيتم عظم ملكى وأنه ليس أحـد يمنعكم منى وأنتم فى يدى بمنزلة البيـضة فى كفى . . . فقولوا لصاحـبكم ينصرف فإنى قـد عرفت قلة أصـحابه وإلا بعـثت إليكم من يهلككـم . قالوا : كـيف يكون قليل الأصحاب من أولُ خَيْلـهِ فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟

وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه

ولا نخافه . وقد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية فقال ملك الصين : فإنا نخرجه من يمينه ونبعث إليه تراب أرضنا فيطؤه ونبعث إليه ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث إليه بجزية يرضاها .

وفاة الوليد بن عبد الملك

مات الوليد بن عبد الملك فى سنة ست وتسعين هجرية ، وكانت خلافته تسع سنين وكانت وفاته بدير مران ودفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز .

وتولى سليمان بن عبد الملك الخلافة فى اليوم الذى توفى فيه الوليد بن عبد الملك. ويبدأ عهد سليمان وكانت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالإنتقام وقد تمنى الحجاج بن يوسف الموت قبل أن يتولى سليمان بن عبد الملك وحقق الله أمنيته فنجا الحجاج بالموت من عذاب سليمان ، أما محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم فقد ذاقا العذاب من سليمان ، وهكذا قتل سليمان وعذب محمد بن القسم الذى دخل على يده الإسلام إلى بلاد السند .

نهاية القائد

فى عام ستة وتسعين قتل قتيبة بن مسلم الباهلى بخراسان وكان سبب قتله أن الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعل بدلاً منه ابنه عبد العزيز فأجابه إلى ذلك الحجاج ، وقتيبة فلما مات الوليد وولى سليمان خاف قتيبة من سليمان وكتب إليه يهنئه بالخلافة ويعزيه فى أخيه الوليد .

وكان يزيد بن المهلب من المقربين إلى سليمان وكان يطمع فى أن يكون والياً على خراسان . فثار على قتيبة بنو تميم وكانوا يُكَوِّنُونَ جزءا كبيراً فى جيشه وهجم عليه وكيع بن حسان التميمى وجماعته فقتلوه . وهكذا قتل قتيبة بن مسلم الذى دفع الفتح الإسلامى إلى خراسان وما وراء النهر . حتى قال أحد رجال خراسان : قتلتم قتيبة؟ ، والله لوكان قتيبة منا فمات فينا لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا .

***

سعد بن أبى وقاص
قاهر الفرس

اسمه

هو سعـد بن مالك بن أهيب بن عـبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مـرة ، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عـبد شمس ، ويجتمع مع النبى ﷺ فى كلاب بن مرة وأهيب بن عبد مناف جد سعد وعم آمنة بنت وهب أم النبى ﷺ .

وكان يكنى أبا إسحاق .

إسلام سعد بن أبى وقاص

كان سعد من السابقين الأولين الذين دخلوافى الإسلام ، وكـان عمره سبع عشرة سنة ولعل معرفته برسول الله ﷺ جعلته يلبى دعوته ويسرع إلى الإيمان بالدين الجديد وكان سعـد معروفاً بين الناس بوفـائه لأمه وعلمت أمه بإسلامـه وكانت تعرف حقـيقة شعور ابنها من ناحيتها ومدى تعلق سعد بها وحاولت الأم أن ترده عن دين التوحيد فلم تفلح ، فهـددته بأنها سـتمتنع عن الطعـام والشراب حتى يعـود إلى الكفر خـوفاً على حياتها .

وأضربت أمه عن الطعام والشراب حـتى أوشكت أن تهلك جوعاً وعطشاً وعندما أشرفت على الموت دعاه بعض أقاربه ليرى أمـه حتى يَرِقَّ قلبه ، ولكن سعداً صاح فى أمه : « تعلمين والله يا أمه ، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت دين محمد ، فكلى إن شئت أو لا تأكلى » .

ولـما رأت أم سعد إصرارَه أكلت وشربت .

نشأ سعـد على البطولة والشجاعة فى الحرب ولم يتـخلف عن غزوة من غزوات النبى الكريم ﷺ وقف سعـد يرمى المشركين يوم أحد وكان رسـول الله ﷺ يقول له :

« إرم سعد فداك أبى وأمى » وكان الرسول الكريم يدعو له قائلاً : « اللهم سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ » .

هو أول من أسال دماً للأعلاء فى الإسلام وأول من رمى بسهم فى الإسلام .

يروى ابنه عامر هذه القصة فقال : رأى سعد رجلاً يسب علياً وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته ، فقال له سعد : إذن إدعو عليك ، فقال الرجل : أراك تَتَهَدَّدُنى كأنك نبى ، فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً قد سبقت لهم منك الحسنى وأنه قد أسخطك سَبُّهُ إياهم ، فاجعله آيةً وعبرة » فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من إحدى الدور ناقةٌ شاردةٌ ، لا يردها شئ حتى دخلت فى زحام الناس ، ثم وصلت إلى الرجل، فأخذته بين قوائمها ومازالت تتخبطه ، حتى مات .

وكان سعد من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وتقول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، سهر رسول الله ﷺ ، مقدمه المدينة ليلة ، فقال : « ليت رجلاً صالحاً من أصحابى يحرسنى الليلة » . قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح . فقال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبى وقاص يارسول الله فقال رسول الله ﷺ ماجاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوفٌ على النبى ﷺ فجئتُ أَحْرُسُهُ . فدعا له رسول الله ﷺ ، ثم نام .

سعد أحد العشرة المبشرين

دخل رسول الله ﷺ منزل عائشة فقال : « يا عائشة ألا أبشرك ؟ قالت : بلى يا رسول الله . . قال : أبوك فى الجنة ورفيقه إبراهيم . . وعمر فى الجنة ورفيقه نوح وعثمان فى الجنة ورفيقه أنا . . وعلى فى الجنة ورفيقه يحيى بن زكريا . . وطلحة فى الجنة ورفيقه داود . . والزبير فى الجنة ورفيقه إسماعيل . . وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ورفيقه سليمان بن داود . . وسعيد بن زيد فى الجنة ورفيقه موسى بن عمران . . وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ورفيقه عيسى ابن مريم . . وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة ورفيقه إدريس عليه السلام . .

ثم قال : يا عائشة أنا سيد المرسلين . . وأبوك أفضل الصديقين وأنت أم المؤمنين».

ويقول أنس بن مالك . . وعمرو بن العاص . . وعبد الله بن عمر :

كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال : « يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فليس منا أحد إلا وهو يتمنى أن يكون من أهل بيته . . فإذا سعدٌ قد طلع » .

موقعة القادسية

عندما تولى الخلافة « عمر بن الخطاب » ، أراد الفرس ، أن يجمعوا جموعهم لينقضوا على المسلمين وقرر عمر أن يخرج بنفسه على رأس الجيش ولكن أصحاب الرأى والمشورة رفضوا خروجه ، وأقنعوه بالبقاء فى المدينة ، وانتهى الرأى إلى اختيار قائد آخر لمواجهة الفرس ، وسأل عمر أصحابه من تختارون ، فقال عبد الرحمن ابن عوف : « إنه الأسد فى براثنه ، وإنه سعد بن أبى وقاص » .

فولى عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص إمارة الجيش ثم أخذ عمر بن الخطاب يوصى سعدا قائلاً :

« إنى ولَّيتُك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديدٌ كَرْبُه ، لا يخلص منه إلا الحق ، فعودِ نفسك ومن معك الخير واستفتح به . . واعلم أن لكل عدة عتاداً فعتاد الخير الصبر » .

ثم قال له : « ياسعد لا يغرنَّك من الله أن قيل : خالُ رسول الله ﷺ وصاحبه فإن الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ إلا بطاعته والناس شريفُهم ووضيعُهم فى ذات الله سواء . اللهُ ربُّهم وهم عِبادهُ ، وإنما يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذى رأيت عليه رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر ، وعليك بالصبر واليقظة ، وتوكل على الله ، وسر على بركة الله ، وما النصر إلا من عند الله » .

فسار سعد بن أبى وقاص حتى نزل بالقادسية ، واجتمعت إليه الجنود من كل ناحية فصار سعد فى جمع عظيم وبلغ ذلك يزدجرد ابن هرمز ملك الفرس وتجمع الفرس وتولى قيادة جيشهم رستم .

وأرسل سعد كتاباً إلى عمر يصف له قوة الأعداء فكتب إليه عمر :

« لا يكربنك مـا تسمع منهم ، ولا مـا يأتونك به ، واسـتعن بالله وتوكل عليـه وابعث إليه رجـالاً من أهل النظر والرأى والجلد ، يدعونه إلـى الله واكتب إلىَّ فى كل يوم » .

وأرسل سعـد بعض أصحابه إلى يزدجـرد ملك الفرس وسار القـوم حتى وصلوا إلى القصر الذى يقـيم فيه يزدجرد ، فاسـتأذنوا عليه فأذن لهم ، فـدخلوا عليه فإذا هو جالس على سرير له من العاج والأبنوس صغير ، والملوك وأبناء الملوك عن يمينه وشماله على الكراسى ، فقال يزدجرد : من أنتم أيها العرب ، طالبوا نعمة كسرى ؟ قالوا : بل رسل سعد بن أبى وقاص أمير الجيوش .

وقال له المغيرة : « إما أن تقول : لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا أنت قلتـها أقررناك فى بلدك وانصرفنا عنك ، لا يدخل بلدك هذا أحد إلا بإذنك ، وعليك الخراج الخمس والزكاة تؤديها إلى بيت مال المسلمين وإن أبيت ذلك فأداء الجزية عن يد وأنت صاغـر وأُعْتِقَ منادِمُك ، وإن أبيت ذلك فأذن بحرب من الله ورسوله وجهاد فى سبيله » .

فغضب يزدجرد ثم قال : ما ظننت أن أعيش حتى أسمع من أمثالكم هذا .

عاد الرسل إلى سعد بن أبى وقاص وأخبروه .

عبّأ سـعد بن أبى وقاص أصحابه ، فكان يـومئذ قريباً من أربعين ألفـاً وقد كان عمر بن الخطاب كتب إلى أبى عـبيدة بن الجراح رضى الله عنهما فأمـدهم بعشرين ألفاً من أهل الشام ، فصار سعد فى ستين ألفاً . وجعل فى ميمنته عمرو بن معدى كرب ، وجرير بن عـبد الله البجلى فى عشـرة آلاف فارس وراجل وجعل على ميـسرته إبراهيم ابن حارثة الشيبانى وعلى بن جحـش العجلى فى عشرة آلاف بين فارس وراجل وجعل فى القلب طليـحة بن خويلـد الأسدى ، والمنذر ابن حسـان فى عشـرة آلاف فارس ، وخمسة آلاف راجل .

القتال فى القادسية

كان سعد بن أبى وقاص مريضاً وبه بعض الدمامل والقروح تمنعه من الجلوس أو ركوب الخيل فاصدر أوامره لجيشه وهو منبطح على الأرض . كانت أيام القادسية ثلاثةَ أيامٍ متوالية ، لم تهدأ فيها الحرب . وأراد سعد بن أبى وقاص ، أن يبعث الحمية والحماس فى قلوب الناس فأمر الشعراء والخطباء أن يقوموا خطباء فى الجند ليُحَمِّسُوهُمْ على القتال .

ثم قال سعد : « الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم فإنى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فإذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم » .

فوجئ المسلمون فى اليوم الأول من أيام القادسية بالفيلة التى كادت تصيب خيل المسلمين بالذعر وانتهى اليوم الأول لصالح المسلمين ، وفى اليوم الثانى برزت بطولة القعقاع بن عمرو وقيل إن القعقاع بن عمرو قتل وحده فى هذا اليوم ثلاثين فارساً .

وجاء اليوم الثالثُ والمسلمون يتقدمون على الفرس وكانت وقائع القادسية هذه من أعظم الوقائع التى دونها التاريخ وقتل فيها من المسلمين نحو سبعة آلاف وخمسمائة وأما من قتل من الفرس فعدد كبير وانتهت هذه الوقائع بكسر الفرس وتشتت جندهم ودخل الوهن على نفوسهم .

وقد غنم المسلمون فى القادسية غنائم كثيرة وكتب سعد بن أبى وقاص ، إلى عمر بن الخطاب بكتاب يخبره فيه ويبشره بالنصر ، يقول فيه : « أما بعد : فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سَلَبَهُمُوهُ ونقله عنهم إلى المسلمين . واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام ، وفى الفجاج . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارى وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم » .

أبو محجن الثقفى وحبسه وتوبته

كان أبو محجن الثقفى ، صاحب لهو وشراب وكان سعد بن أبى وقاص أقام عليه الحد مراراً ، فألقاه سعد فى السجن ولم يعبأ بتوسلاته ، بأن يسمح له بمشاركة المسلمين فى جهادهم . فلما سمع أبو محجن التكبير التفت إلى أمةٍ لسعد يقال لها : زبراء ، فقال : ويحك يازبراء ! ما حال المسلمين ؟ فقالت : أظن والله الدائرة على المسلمين ، وقد قتل منهم جماعة ، فقال أبو محجن : إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخاف أن يذهب الناس بشرف هذا اليوم ، فينالون الدنيا والآخرة ، وأنا موثق بهذا الحديد فلعن الله الخمر ولعن أبا محجن إن شربها بعد هذا اليوم ، ثم أقبل على سلمى . . امرأة سعد ، وجاريته . . زبراء فقال : أطلقانى ولكما الله على راعٍ وكفيل ، إن أنا سلمت ولم أقتل أن أرجع إليكما وأضع رجلى فى هذا القيد كما كانت ، فلما سمعت المرأتان يمينه وما أعطاهما من العهد والميثاق أطلقتاه فأخرجتا رجله من القيد . فقال لهما: أعطيانى اليوم هذه الفرس البلقاء وأعطيانى سلاح سعد حتى أخرج فأقاتل وأرجع إليكما ، وسار أبو محجن حتى اختلط بالمسلمين متلثماً لا يُعْرَفُ والمسلمون لا يعلمون من هو ، غير أنهم عجبوا من قتاله . . وسعد بن أبى وقاص على سطح بيته ينظر إلى فعله وكان أبو محجن قد قتل الكثير من الأعداء ، ورجع أبو محجن بعد المعركة إلى بيت سعد ، ونزع السلاح فرده على المرأتين ودعا بالقيد فقيد رجله كما كان ، فأرسلت سلمى إلى سعد ابن أبى وقاص ، وسألته أن يصير إليها فنزل سعد حتى دخل عليها ، فقالت : أيها الأمير ! ما حال الناس ؟ قال : ويحك ياسلمى ! لقد كانت الدائرة على المسلمين غير أن الله تبارك وتعالى منَّ علينا بفارس لا أدرى من الآدميين هو ، أم من الملائكة فأعطى الله المسلمين به الظفر قالت : فهل عرفت الرجل ؟ قال لا ولكنى شبهت بلقاء كانت تحته ببلقائى ، وسلاحاً كان عليه بسلاحى ، فقالت والله إنه أبو محجن الثقفى . . . فعفا عنه سعد وتاب أبو محجن توبة نصوحاً ولم يعد إلى شرب الخمر بعد ذلك .

فتـح المـدائن

إن موقعة القادسية كانت مقدمـة لتوهين قوة الفرس وتمهيداً للوصول إلى عاصمة الاكاسـرة التى كانت معقل الأسـرة الكسروية فكتب عمـر إلى سعد يأمره بالمسـير إلى المدائن ووضع سعـد خطة لعبور نهـر دجلة وجهز لـذلك كتيبـتين أطلق على الأولى : كتيبة الأهوال وجـعل عليها عاصم بن عمرو وأطلق على الثانية اسم : الكتـيبة الخرساء وجعل عليها القعقاع بن عمـرو ، ونفذت الخطة وأدى جنود الكتيبتين عملهم بمهارة فى عبور نهر دجلة وتتـابع الجيش يتخطى النهر حتى أن الجند كانوا يـتحدثون وكأنهم على سطح الأرض .

وكان سـعد مشـفقاً عـلى الجيش ، فأخـذ يردد : حسبنا الله ونـعم الوكيل والله لينصرن الله وَلِيَّه وليظهرن الله دينَه أو ليهزمنَ الله عَدُوَّه .

إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، ثم أمـر سعد المسلمين أن يقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

ودخل المسلمون المدائن وانتصر سعد وجيـشه وفر قواد الفرس ودخل سعد ومن معـه إلى القصـر الأبيض ، ورأوا عرش كـسرى وكان من الذهب الخـالص ، ثم صلى صلاة الفتح ، ركعتين شكراً لله عز وجـل وأخذ الناس يرددون : الله أكبر الله أكبر هذا ما وعد الله ، صدق الله ورسوله » .

وقسم الفيء على الجند وأصاب الفارس من المسلمين اثنى عـشر ألفاً وبعث سعد بالأخماس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وفـيها سيف كسرى فلما رأى ذلك قال : إن قوماً أدوا هذا لذوو أمانة : فقال له على رضى الله عنه « يا أمير المؤمنين إنك عففت فعفت الرعية ولو رتعت لرتعوا » .

سعد أميراً على العراق

لم يجد عمر بن الخطاب أفضل من سعد بن أبى وقاص ليجعله أميراً على العراق وأقام سـعد والياً على الكوفة وتوابعـها نحواً من ثلاث سنين وكـان حسن الإمارة كثـير التتـبع لأحـوال الرعية مـنصفا بين المسلـمين وسأل عمـر بن الخطاب رضى الله عنه ، عمرو بن معد يكرب عن سعد بن أبى وقاص ، فقال : متواضع فى حياته ، عربى فى

عزته أسد فى تاموره ، يعدل فى القضية ، ويقسم بالسوية ، ولا يبعد عن السرية ويعطف عليها عطف البررة ، وينقل إلينا خفيا نقل الذرة .

إلا أن أهل الكوفة لما أخلدوا إلى الراحة ، أخذ يتولد فيهم الفساد ، وشكاه بعض أهل الكوفة لعمر بن الخطاب ، زاعمين أنه لا يحسن الصلاة . واستدعاه عمر إلى المدينة فقال سعد : والله إنى لأصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ . وأراد عمر إرجاعه إلى الكوفة ، ولكن سعداً رفض العودة إلى الكوفة وقال : أتأمرُنى أن أعودَ إلى قوم يزعمون أنى لا أُحْسِنِ الصلاةَ ؟ .

وفاة سعد بن أبى وقاص

دارت فى عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه فتنة فلم ينضم سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه إلى أى فريق لكنه كان يسدى النصح والمشورة لمعارضى عثمان .

ومن محاسن أقواله ماروواه ابن عساكر قال : قال سعد لابنه :

إذا طلبت الغنا فاطلبه بالقناعة فإنه من لم يكن له قناعة لم يغنه مال .

ومرض سعد ، وإذا بإبنه مصعب بن سعد يبكى ، فنظر إليه سعد وقال : ما يبكيك يابنى فقال : أبكى لما بك يا أبى فقال سعد رضى الله عنه : لا تبك علىَّ يابنىَّ، فان الله لا يعذبنى أبداً وإنى من أهل الجنة ، إن الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا ، وأشار على خزانة ففتحها ثم أخرج منها رداء قديما ، فأمر أهله أن يكفنوه فيه قائلاً لهم : لقد لقيت المشركين فيه يوم بدر ولقد ادخرته لهذا اليوم .

وفى سنة خمس وخمسين هجرية مات سعد وصلى عليه مروان ابن الحكم وكان والياً على المدينة ودفن فى البقيع وكان آخر العشرة المبشرين بالجنة موتاً رضى الله عنه وأرضاه .

***

عبد الله بن رواحة

اسمه

عبدُ الله بن رواحةَ الأنصــاريُّ الخزرجيُّ ، أحدُ الصحابة المشهــورين ، والفرسان المعدودين ، والشعراء الشهداء الخالدين .

وكان أجداده من ذوى الزعــامة والرياسة والفروسيــة والمجد ، فكان بهذا النسب العريق رفيعَ القدر فى قومه ، مسموعَ الكلمةِ ، سيداً فــى الجاهلية والإســلام .

نشأ منذ صغره على حبِّ العلم والإقبال عــلى المعرفة ، فأتقن القراءة والكتابة ثم آنس فى نفسه مــيلاً إلى الشعر ، فــأبدعَ فيه حتى أصبحَ لا يقلُّ منــزلة عن الفحولِ من شعراء عصره .

إسلامه

لم يكد يسمعُ عبد الله بن رواحةَ ، رضــى الله عنه ، بظهور الإسلام حتى سارعَ إلى الدخول فى هذا الدين الجديد ، بفطرته السليمة ، وقلبه المتفتح إلى كل ما فيه الخير والصلاح ، فَحسُن إسلامه .

ولَمَّا كان من وجهــاء قومه فقد شــهد بَيعةَ العقــبة الثانية مع الســبعين من الأنصار القادمين إلى مكة ، فأخذ عليهم النبىُّ ﷺ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادَهم وقد أقام الرسولُ الكريمُ عليهم يومذاك اثنى عشر نقيباً ، فكان عبد الله بن رواحة واحداً من هؤلاء . وكان البراءُ بن معرور زعــيم الذين بايعوا محمداً ﷺ من أهل المدينة ، حتى غضب المشركون من قريش ، وأرادوا بهؤلاء النقباء الشرَّ والأذى .

ثم أذن الله تعالى لنبيِّه الكريم بالهــجرة إلى المدينة ، فخــرج الأنصار يستــقبلون رسولَ الله فرحين مســتبشرين ، ويستقبلون إخــوانهم من المسلمين ، بعد أن مضى على

البعثة ثلاثَ عشرةَ سنةً ، فما كان من الرسولِ الكريمِ إلا أن جمع المهاجرينَ والأنصار فآخى بينهم ، فكان حظُّ عبد الله بن رواحة أن يكون أخا للمقداد بن عمرو.

غزوة بدر

وفى السنة الثانية من الهجرة تجمَّع مشركو قريش فى بدر يريدونَ قتال رسول الله ﷺ وصحابته ، ولكنَّ الرسول أوصى جنده ألا يبدؤوا القتالَ إلا إذا دنا المشركون منهم ، ثم وقف يناشد ربَّه ، ويطلب منه العونَ والمددَ ، ولما رأى عبدَ الله بن رواحةَ يستعجل ساعةَ المعركة قال النبى الكريم : « يا بن رواحةَ ، ألا أنشد الله وعدَه ؟ إنَّ الله لا يخلف الميعاد » .

ثم استشار النبىُّ ﷺ المسلمين فى أمرِ القتال ، إذ كان يتخوَّف أن يُحجمَ الأنصارُ عن القتال إلا إذا دَهَمَهم العدوُّ فى بلدهم ، فهبَّ سعدُ بنُ معاذ الأنصارىُّ وقَلبُه مملوء بالإيمان وقال :

« يا رسول الله ، قد آمنَّا بكَ وصدَّقناكَ ، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثكَ بالحق ، لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَهُ لخُضناه معكَ، ما تخلَّف منَّا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى عدونَّا بنا غداً ، إنَّا لصُبُرٌ فى الحرب ، صُدُقٌ فى القتال ، لعل الله يريكَ منا ما تقرُّ به عينُكَ فسِر بنا على بركة الله» .

ثم لما كان القتال خرج ثلاثةٌ من المشركين يريدون ثلاثة من المسلمين للمبارزة، فاندفع إليهم ثلاثةٌ من فتيان الأنصار وهم : عوفٌ ومُعوَذٌ وعبد الله بن رواحة ، ولكن زعماء قريش أبوا أن يبارزوا هؤلاء الشبابَ ، وقالوا : « يا محمدُ أخرجْ إلينا أكفاءنا من قومنا » ، فأمر رسول الله ﷺ عُبيدةَ بنَ الحارثِ وحمزةَ وعلياً أن يقوموا إليهم ، فقاموا وقد أيَّدهم الله تعالى بالنصر المبين .

وأنجز الله تعالى وعدَهُ بنصر المسلمين فى هذه الغزوة المباركة ، فبعثَ رسول

الله ﷺ ، عبدَ الله بن رواحـة إلى عالِيةِ أهل المدينة يُبشِّرهم ، فوقف عـبد الله يقول بصوته المفـعم بالفرح : « يا معـشر الأنصار ، أبشـروا بسلامة رسـول الله ﷺ وقتلِ المشركين وأسرهم .

غزوة أحُدْ

كان عـبد الله بن رواحة رضى الله عنه أحدَ الذينَ حـضروا موقعـةَ أُحُد ، وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وذلك فى السنة الثالثةِ من الهجـرةِ ، وفيها قُتِلَ حمزةُ بن عبد المطّلب رضى الله عنه . ولما سـمع رسولُ الله ﷺ نساءَ الأنصـار يبكين على قـتلاهُنَّ ذرفت عيناه وقال : « لكنَّ حمزةَ لا بواكىَ له » .

فما كان من عـبد الله بن رواحة ، وقد آلمه المصابُ ، إلا أن تدفَّق لسـانه بقصيدة مؤثرةٍ يرثى بها حمزةَ رضى الله عنه يقول :

بكتْ عـــينى وحُقَّ لهـــا بكاها ... ومـــا يغنى البكاءُ أو العـــويلُ
على أســـدِ الإله غـــداةُ قـــالوا ... أحـــمـــزةُ ذاكم الرجلُ القـــتـــيلُ

عبد الله بن رواحة أمير علي المدينة

لما انصرف أبو سفـيان ومن معه من غزوةِ أُحُـدٍ ، وقد فرح بما حلَّ بالمسلمين من الهزيمة نادى: الموعدُ بيننا وبينكم بدرٌ فى العـام المقبل ، نلتقى فيه نقتتل . فـأجابه عُمر رضى الله عنه :

ـ نعم إن شاء الله ، هو بيننا وبينكم موعد .

ففى الـسنة الرابعة خـرج رسولُ الله ﷺ وسلم لميـعاد أبى سـفيـان ، بعد أن استخلفَ على المدينة عبدَ الله بن رواحة أميراً ، وخـرج أبو سفيان بمن معه من مشركى أهل مكةَ ، ولكنَّ الفزعَ دبَّ فى نفـسه ، لِما رأى من قـوة المسلمين وتصميـمهم على الجهـاد ، فأخذ يقـول لجماعـته مـتعلِّلاً : يا معـشرَ قريش ، إنه لا يُـصلِحكم إلا عامٌ خصـيبٌ ترعونَ فيه الـشجر وتشربون فـيه اللبنَ ، وإنَّ عامكم هذا عـامُ جدبٍ ، وإنى راجع فارجعوا .

فقال فى ذلك عبد الله بن رواحة يتشمت بأبى سفيان :

وعَدْنا أبا سفيان بدراً فلم نجِدْ ... لميعاده صدقاً وما كان وافياً
فأقسمُ لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبتَ ذميماً وافتقدتَ المواليا
فإنى وإن عنَّفتمونى لقائلٌ ... فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدِلْه فينا بغيره ... شِهاباً لنا فى ظُلمةِ الليل هادياً

غزوة الخندق

شهد عبدُ الله بن رواحة مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق ، فكان رسولُ الله ينقلُ الترابَ يومئذ مع المجاهدين ، حتى وارى الترابُ بياضَ إبطيه ، وعبد الله بن رواحة يردّد :

والله لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا
فأنزلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا
إن الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أَبَيْنا

وبلغ رسولَ الله أنَّ كعبَ بن أسد قد نقض العهدَ الذى كان قد عقده مع رسول الله ، فأرسلَ النبىُّ الكريمُ عبد الله بن رواحة مع ثلاثةِ من الفرسان يستطلعون صحةَ الخبر .

صلح الحديبية وعمرة القضاء

وفى السنة السادسة من الهجرة خرج رسول الله ﷺ يريد العُمرةَ ، وساق معه الهَدْىَ ، وأحرم ، ليُعلمَ الناسَ أنه لا يريد حرباً . وكان أصحابه أكثرَ من ألف وأربعمئة، وفيهم أبو بكر وعُمر وابنُ رواحة وغيرهم ، فصدَّتهم قريش ، برغم علمها بحُسن ما جاءوا إليه ، ثم عُقِدت بين الفريقين هُدنَةُ الحديبية ، وتنصُّ على أن يأمنَ الناسُ الحربَ عشرَ سنينَ ، وأن يرجعَ رسول الله فلا يدخلَ عليهم مكةَ ذلك العامَ ، فإذا كان العامُ القادم ، خرجت قريش ودخل رسول الله ﷺ بأصحابه ، فأقام فيها ثلاثاً ومعه سلاح الراكب فقط .

وفى العام السابع من الهجرة جاء رسول الله مع من كان قد صُدَّ فى عمرته تلك

وأدى عمـرة القضـاء ، فدخل مكةَ وقـد ركب ناقتـه القصـواء ، وأصحابه مـن حوله متوشّـحو السيـوف يُلَبُّون ، وعبد الله ابن رواحـة بين يديه آخذٌ بزمام ناقتـه وهو يرتجز ويقول :

خلُّوا بني الكفـار عن سبيلهِ	خلُّوا فكلُّ الخير في رسولهِ
يارب إني مؤمنٌ بقيلهِ	أعرف حقَّ الله في قبولهِ
نحنُ قتلناكم على تأويلهِ	كما قتلناكم على تنزيلهِ
ضرباً يُزيل الهام عن مقيلهِ	ويُذهل الخليل عن خليلهِ

فقـال عمرو : يا ابن رواحـة ، أفي حرم الله وبين يدى رسـول الله ﷺ تقول هذا الشعر ؟! . فـقال الرسول ﷺ : « خلِّ عنه يا عمر فوالذى نفـسى بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقْع النَّبْلِ » .

ولم يزلَ النبى الكريم يلبى حتى استلم الركن بِمِحْجَنه وحتى جاء عروشَ مكة . وكان عبد الله ما يزال يرتجز فى طوافه ، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « إيها يا ابن رواحـه ، قل لا إله إلا الله وحده ، صـدق وعده ، ونصـرَ عبده وأعـز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » .

فقـالها الناس ، فـلما قضـى طوافه خرج إلى الـصفا ، فـسعى على راحـلته ، والمسلمون يسترونه من أهل مكةَ مخافة أن يرميه أحد منهم أو يصيبه بشئ ، ونحن عند المروة ، وحلق ثم دخل البيت .

الشهيد في غزوة مؤتة

فى السنة الثامنة من الهـجرة بعثَ رسولُ الله ﷺ الحارثَ بن عُمـيرة إلى مؤتة ومعه كتاب إلى صـاحب بُصرى ، وكان الغساسنة قد نصبوا شرحبـيل بن عمرو عاملاً من قبلهم على دمشق ، فلم يَرْعَ الحقوق والعـهودُ التى تقضى باحترام الرُّسُل والمحافظة عليهم ، فغدر بالحارث بن عمير وضُرب عنقه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ ، فجهز جيشًا قوامه ثلاثـة آلاف مقاتل ، ولما صلى الظهر عقد لواءً أبيض ودفعه إلى زيد ابن الحارثة ، فجعله أميرًا على الجيش ، ثم قال :

« . . . فإن قُتل زيد بن الحارثة فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب جعفرُ فعبد الله بن رواحة » .

ووقف الناس يودعون الجيش وأمراءه ، ويسلمون عليهم ، ويدعون لهم بالسلامة والظفر ، فرأوا قطرات من الدمع تسيلُ على خدى عبد الله بن رواحة ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ فقال : أما والله ما بى حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[1] فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود .

فقال المسلمون : صَحِبكم الله ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين .

فقال ابن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مُجهزة	بحربة تُنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي	أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم قال : يا رسول الله مرنى بشئ أحفظه عنك .

فقال ﷺ : « إنك قادم غدًا بلدًا السجود فيها قليل ، فأكثر السجود » ، ثم انطلق الجيش على بركة الله ، وعبد الله بن رواحة متلهف إلى أن يرزقه الله الشهادة فى سبيل الله ، حتى إذا بلغوا مؤتة بعد أن أقاموا يومين بمعان سمعوا أن هرقل قد نزل قاب ومعه مئة ألف مقاتل من الروم معززين بمائة ألف أخرى من القبائل العربية ، فاجتاح الفزع قلوب المسلمين ، وأخذوا يفكرون فى أمرهم ، حتى إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ ، فإما أن يمدهم بالرجال ، وإما أن يأمرهم بأمره فيطيعوه .

ولكن عبد الله بن رواحة انطلق يشجع القوم ويحثهم على مواجهة العدو قائلاً : والله ما كنا نقاتل بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، انطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور عليهم ، فذاك ما وعدنا

---

(١) سورة مريم : ٧١ .

الله ووعد نـبينا وليس لوعـده خلف ، وإما الشـهادة فنلحقٌ بالإخـوان ، نرافقـهم فى الجنان، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

ثم احتدمت المعركة ، وكثـر الضرب والطعن ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى سقط شهيدًا ، فتناول الراية جعـفر بن أبى طالب فقاتل بها حتى سقط شهيدًا أيضا وفى جسده أكثـر من تسعين طعنة ، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة فى هذا الموقف العصيب فجعل يستنزل نفسه ويقول :

أقسمت يا نفسُ لتنزلنة ... طائعة أو فلتكرهنة

مالي أراك تكرهين الجنة ... قد طالما كنت مطمئنة

ويقول أيضًا :

يا نفس إلا تُقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليتِ

وما تمنيت قد أعطيتِ ... إن تفعلي فعلُهما هُديت

ثم نزل إلى ساحة المعركة فتقدم إليه ابن عم له وأعطاه عظما عليه قليل من اللحم ليتـقوى به وقال له : شـد به صُلبك فإنك قـد لقيت أيامك هذه ما لقـيت . قليلُ من فأخذه من يده فانتهس منه نهسة ، ثم سمع صليل السيوف وجلبة القوم فنظر إلى قطعة العظم وقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده وامتشق سيفه ، فتقدم فقاتل بكل جرأة وشجاعة حتى أكرمه الله تعالى بالشهادة ، وقبره مع قبر صاحبيه اليوم فى قرية « المزار » التى تبعد عن مؤتة ثلاثة كيلو مترًا إلى الجنوب .

فدعـا الناس خالـد بن الوليد ليـحمل الراية ، فـحملهـا وأخذ يحـمى المسلمين ويحجزهم من ضربـات العدو ، حتى انصرف بهم ، وقد انكسر فى يده تسـعةُ أسياف وهو صابر يجالد ويقاتل .

وكـان ذلك الانسحـاب براعة حـربية مـن خالد رضى الله عنه إذ جنب الجـيش الإسـلامى بذلك المزيد من القـتلى ، ومنذ ذلك الحين سـمى رسول الله ﷺ خـالدًا «سيف الله » ولما رجع الجيش إلى المدينة المنورة تلقـاهم الناس وجعلوا يرمونهم بالتراب ويقولون لهم هازئين : يا فُرار ، فيقـول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكُرار إن شاء الله » .

وبكى المسلمون شهداء مؤتة ، فأمر الرسول الكريم وهو رسول الرحمة أن يحمل المسلمون أولاد الشهداء ويعتنوا بهم ، وكان حسان بن ثابت أشد الصحابة حزنا على شهداء مؤتة فقال يرثيهم :

فلا يبعدن الله قتلي تتابعوا ... بمؤتة ، منهم ذو الجناحين جعفرُ

وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعًا وأسباب المنية تخطرُ

فضائل عبد الله بن رواحة

لقد اجتمعت فى عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ فضائل جمة ، ومناقب كثيرة جعلت منه رجل فكر ورجل عمل فى آن واحدٍ ، فكان الصورة المثلى للإيمان والإخلاص ، والطاعة والحمية ، فلا يكاد يسمع بمجلس فيه ذكر الله إلا أقبل عليه ، ولا بمجمع للفقه والعلم إلا لزمه فأفاد منه ما يقوى إيمانه ، ويعزز عقيدته ، وحسبه أن رسول الله ﷺ قال عنه : « رحمَ الله عبد الله بن رواحةَ إنه كان يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » .

وقد ذكرت زوجته أنه كان إذا أراد الخروج من بيته صلى ركعتين ، وإذا دخلَ بيته صلى ركعتين ، لا يدعُ ذلك أبدًا .

وكان رضى الله عنه يقول لأبى الدرداء كلما لقيه :

يا عويمر ، اجلس فلنؤمن ساعة ، يا عويمر هذه مجالس الإيمان ، مثلُ الإيمان مثل قميصك بينا أنك نزعته إذ لبسته ، وبينا أنك قد لبسته إذ نزعته القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانها .

ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه ـ وكان أخاه لأمه ـ : لقد رأيتنا مع رسول الله فى بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد الحر ، حتى إن الرجل ليضعُ من شدة الحر يده على رأسه ، وما فى القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة .

وأبو الدرداء هذا ـ رضى الله عنه ـ كان إسلامه على يد عبد الله بن رواحة ، إذ كان آخر أهل داره إسلاما ، وكان عبد الله يدعوه إلى الإسلام فيأبى ، لأنه كان متعلقا

بصنم له لا يفارقه ، فانتهز عبد الله فرصة غياب أبى الدرداء ، فاقتحم البيت الذى كان فيه لصنم ومعه القَدوم ، وكانت امرأة أبى الدرداء تُمشط شعرها فأهوى عليه حتى حطمه وهو يقول : ألا كل ما يدعى مع الله باطل ، ولما سمعت المرأة صوت القدوم وهو يضرب الصنم صاحت : أهلكتنى يا ابن رواحة . فخرج على ذلك . ولما رجع أبو الدرداء وجد المرأة قاعدةً تبكى شفقًا منه فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك عبد الله ابن رواحة دخل على فصنع ما ترى ، فغضب غضبا شديدًا ، ثم فكر فى نفسه وهو يشير إلى الصنم المحطم : لو كان عند هذا خيرٌ لدافع عن نفسه ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم .

وفى ميادين الحرب كان عبد الله فارسا شجاعا ، يصول ويجول بسيفه ولسانه حتى إنه كان أول خارج إلى القتال وآخر قافل منه .

وقد كانت شاعرية ابن رواحة وقفا على الإسلام والمسلمين ، فى وقت كان للشعر فيه سلطان وتأثير كبير ، وإننا لنجد فى شعره الذى مررنا ببعض منه تفاخرًا بالعقيدة ، ومدحا لنبى الإسلام ورثاءً لشهداء المسلمين .

وقد كان حسانُ بن ثابت ، وكعب بُن مالك شاعرين يعارضان المشركين بما يذكرونه من الوقائع والأيام والمآثر الجاهلية ، ويعيرانهم بالمثالب القبلية المعروفة آنذاك . أما عبد الله بن رواحة فقد كان يعيرهم بالكفر لأنه أقبح المخازى وينسبهم إليه ، فكان أشد شئ عليهم قول حسان وكعب لاعتزازهم بمفاخر الجاهلية وتعزيهم بعزائها فكان أشد شئ عليهم قول ابن رواحة لتنكبهم عن طريق الإسلام ، فلما أسلموا وفقهوا الإسلامَ ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

***

المقداد بن الأسود

أول من قاتل على فرس
فى سبيل الله

أصاب عمرو أبو المقداد دماً فى قومه، فهرب إلى حضرموت ثم حالف كندة، فقيل له الكندى، ثم تزوج من امرأة ولدت له ابنه المقداد، ولما أصبح شاباً وقع بينه وبين أحد أفراد هذه القبيلة نزاع وضرب أحد الرجال بالسيف وهرب إلى مكة وتبناه الأسود فنسب إليه المقداد بـن الأسود، كما سمى المقـداد الكندى ، ثم سمى المقداد بن عـمرو بعد أن أنزل الله عز وجل: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ ولكن تسميـته المقداد بن الأسود غلبت عليه، وكان يكنى أبا الأسود وأبا عمرو وأبا معبد وأبا سعيد.

وكان المقداد فى طليعة المؤمنين الذين آمنوا بالـرسول وصدقوه، وكان أول من أظهر الإسلام فى مكة سبعة منهم المقداد.

وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهـه عن الرسول ﷺ قال : « **لم يكن نبى إلا أعطى سبعـة نجباء وزراء ورفقاء . وإنى أعطـيت أربعه عشـر ، حمزة ، وجـعفر، و أبو بكر، وعلى، والحسن، والحسين، وابن مسعود، وسلمـان، وعمار، وحذيفة، وأبو ذر، والمقداد، وبلال** » .

وتعـرض المقداد لما تـعرض له المؤمنون مـن أذى على يد قريش، لـكن عزيمتـه لم تضعف من هول هـذه المحنة وأذن الرسول إلى المسلمين بالهـجرة إلى الحبـشة، فهـاجر عشرة رجال وأربع من النساء، ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امـرأة، وكان المقـداد من بين هؤلاء المهـاجرين. ثم عـاد المقـداد مع بعض المؤمنين من مهـاجرى الحبـشة ولحق بالرسول فى المدينـة وعاونه فى نشر الدعـوة واشترك مـعه فى الغزوات.

شهد المقداد غزوة بدر الكبرى، والتى حقق فيها المسلمون انتصاراً على الكفار وكان المقداد من فـرسان العرب المعـدودين. روى أنه كان فارسـاً يوم بدر وأول من قاتل على فرس فى سبيل الله.

كما حارب المشركين من قريش فى غزوة أحد، وكذلك فى غزوة الخندق كما، قاتل اليهود فى خيبر وكانت له مكانة عظيمـة عند الرسول ﷺ فزوجه من ابنة عمه ضياعه بنت الزبير بن عبد المطلب.

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : أمرنى الله عـز وجل بحب أربعة وأخبر فى أنه يحبهم : « على، والمقداد ، وأبو ذر، وسلمان ».

واشتراك المقـداد فى الفتوحات الإسلامـية، وحينما أرسل عـمرو بن العاص يطلب المـدد من عمـر بن الخطـاب حتـى يتمكن من اختراق أسوار حصن بابليـون، وقد أمده ابن الخطاب بأربعة آلاف رجل على رأسهم أربعة من كبار الصحابة هم: الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد.

كمـا عُرف عن المقداد التـفقه فى الدين، فقـد روى عن الرسول ﷺ كثـيراً من الأحاديث.

وكان المقداد طويلاً، أسود اللون كثير الشعر، يصْفّر لحيته وكان ضخم الجسم، مات سنة ثلاث وثلاثين للهجرة بأرض له بالجرف وكان فى السبعين من عمره.

***

طارق بن زياد

كان طارق أحد الموالى الذين كـان لهم شأن فى الفتوحات الإسلامـية، وكان مولى لموسى بن نصير،ولأن موسى قد وثق به فقربه إليه وجعله على مقدمة الجيش.

وأخذ القائدان مـوسى وطارق يبسطان نفوذ الأمويين وينشران الإسـلام حتى وصلا طنجة وفتحـوها وأسلم أهلها ،كما تمكنوا من فتح بلاد المغرب ولم تـقف فى طريقهما غير قلاع سبتة.

وكانت أسبـانيا فى أواخر عهد القـوط قد أصابها البـؤس، وذلك بسبب الضرائب التى كانت تجـمع لصالح الأغنيـاء، وأصبح رجـال الدين لهم نفوذ فى شـئون الدولة، وتفشى الوباء ومات عدداً كبيراً من سكان أسبانيا.

وقد كان على عرش أسـبانيا « وتيكا » ويسميه العرب « غيطشـة » وخلفه «أخيلا» الذى عزل وتولى مكانه « رودريك » قائد الجيش القوطى.

ولكن « جوليان » حاكم سبتة أضمر العداء للملك بسبب سوء مسلكه مع ابنته وزار جوليان(موسـى بن نصير) وهون عليه حال الأندلس، ووصف أهلها بالضـعف وتعهد على تأييد المسلمين، وكـان على موسى الرجوع إلى الخليفه (الـوليد) الذى تردد ثم أمر مـوسى أن يسـتطلع الأمـر أولاً، فأرسل مـوسى (طريف بن مـالك) وسـار على رأس خمسمائة مقاتل وغزا بعض ثغور أسبانيا بمساعدة (جوليان) وعاد محملاً بالغنائم بعد أن تأكد من انعدام وسائل الدفاع فى أسبانيا.

ولم يكن يتولى فـتح أسبانيـا غير طارق بن زياد لأن هذا الأمر ليس سـهلاً، ولأن طارق قائد جيش موسى بن نصير وحاكم طنجة يـتمتع بقوة العزيمة والقدرة على التأثير على القلوب والإخلاص فى الجهاد.

وفى شهر شعبان سنة ٩٢هـ سار(طارق بن زيـاد) عبر البحر فى أربع سفن أعدها له (جوليـان)، ومعه سبـعة آلاف من المسلمين، وصل طارق وجنده الجزيرة الخـضراء، ونزل المسلمون فى مكان يسمى البحيرة جنوب أسـبانيا وأخذ يفتح القلاع والمدن وأسرع الملك (لزريق) وجمع جيشاً قيل: إنه يتكون من سبعين ألف رجل.

وبعث طارق إلى موسى بن نصير يطلب المدد فأمده بخمسة آلاف، وبلغ جنده اثنى عشر ألفاً ولكن ثارت مخاوف المسلمين حين علموا بقرب جيش(لزريق) ولكن ذلك لم يزد طارق إلا حماسة وقال خطبته الخـالدة، والتى فيها حث الناس على الجهاد والالتزام بالصبر وبشرهم فقال : « أيهـا الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر واعلمـوا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام، وقد اسـتقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحتـه ، وأقواته موفورة، وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب على رعبها منكم . . . . . ».

وكان لهـذه الخطبة الأثر العظيم فى نفوس الجند فـألهبت حماسـهم وأيقنوا نفوس أنهم إذا عملوا بنصيحته تغلبوا على عدوهم.

وأقبل « لزريق » وهو بين يديه جنده الكثيف، والتقى طارق بجيش « لزريق » على مقربة من وادى «لكة » وأخذ طارق وجنده يحملون على العدو، ثم هجم على « زريق» فضربه بسيفه فقتله.

ومما ساعد على انتصار المسلمين هو انضمام أبناء غيطشة إلى المسلمين، وأرسلوا إلى طارق يسألونه الأمان.

كما كـان جوليان يستـميل جند لزريق، وأدى ذلك لرجحان كـفة العرب، وتمزيق شمل جيش لزريق.

وكتب طارق إلى موسى يخبره عن إحراز هذا النصر، وما استولى عليه من غنائم، ولكن موسى بن نصير أراد أن يكون له شرف فتح بلاد الأندلس، فكتب إلى طارق بأمر

ألا يتجاوز مكانه حتى يلحق به، ولكن رأى بعد أن استشار رؤساء جيشه أن وقف القتال يعرض المسلمين للخطر، ويعطى القوط فرصة يجمعون فيها شعثهم ويوحدون كلمتهم.

ثم جاء موسى بن نصير وامتدت فتوحاته إلى برشلونة وأربونة فى الجوف وقادس. لكنه التقى بطارق فحط شأنه وظهر مافى نفسه من حقد وسجنه.

ولكن طارق استطاع أن يبث شكواه إلى الخليفة الوليد وكان عادلاً وكتب الخليفة الوليد إلى موسى يأمر بإطلاقه ورده إلى عمله.

ولكن حياته انتهت فى غموض كما بدأت، وكان آخر ما ذكر المؤرخون أنه رحل مع مولاه (موسى بن نصير) بعد فتح الأندلس إلى الشام وانقطع خبره.

***

عبد الرحمن الداخل
صقر قريش

عبد الرحمن الداخل هو من البيت الأموى، الذى تربع على عرش الخلافة زهاء تسعين سنة، امتدت فيها رقعة الدولة الأموية، من أسوار الصين شرقاً إلى أعمدة هرقل وجبال البرانس غرباً، حتى زال عنهم الملك وأحدق بهم الموت وكاد أن يقع (عبد الرحمن) فريسة فى أيدى العباسيين.

فى هذا الجو المضطرب نرى أن البقية الباقية من بنى أميه لا يأمنون على حياتهم، وكان أمام عبد الرحمن الداخل أمران إما أن يقع فى أيدى العباسيين فيحل به ما حل بغيره من ذوى قرباه وأنصارهم، وإما أن يجد لنفسه مخرجاً من ذلك الحصار.

وكان العباسيون يطاردون الأمويين ويقول « لما أعطينا الأمان ثم نكث بنا على نهر أبى فطرس، وأبيحت دماؤنا وأتانا الخبر، وكنت منتبذاً من الناس، فرجعت إلى منزلى آيساً، ونظرت فيما يصلحنى وأهلى وخرجت خائفاً، حتى صرت على قرية من الفرات ذات شجر وغياض، فبينما أنا بها وولدى سليمان يلعب بين يدى، وهو يومئذ ابن أربع سنين، وخرج عنى، ثم دخل الصبى من باب البيت باكياً فزعاً، وجعلت أدفعه وهو يتعلق بى، فخرجت لأنظر وإذا بالخوف قد نزل بالقرية، وإذا بالرايات السود منحطة عليها، وأخ لى حديث السن يقول لى : النجاة النجاة فهذه رايات العباسيون، فأخذت دنانيرى معى ونجوت وأخى، وأعلمت إخوانى بمتوجهى، فأمرتهن أن يحلقنى مولاى بدراً، وأحاطت الخيل بالقرية. فلم يجدوا لى أثار، فأتيت رجلاً من معارفى، وأمرته فاشترى لى دواب وما يصلحنى، فدل على عبد الله العامل، فأقبل فى خيل له يطلبنى، فخرجنا على أرجلنا هرباء والخيل تبصرنا، فدخلنا فى بساتين على الفرات، فسبقنا الخيل على الفرات فسبحنا، فأما أنا فنجوت والخيل ينادوننا بالأمان ولا أرجع،

وأما أخى فإنه عجز عن السباحة فى نصف الفرات، فرجع إليهم بالأمان وأخذوه فقتلوه وأنا أنظر إليـه، وهو ابن ثلاث عشـرة سنة، فاحـتملت فـيه ثكلاً ومـضيت لوجـهى، فتـواريت فى غيضـة حتى انقطع الطلب عنى، وخرجت فـقصدت المغـرب حتى بلغت إفريقية».

طريد يؤسس ملك

وكان عبد الرحمن فى الحادية والعشرين من العمر، وله قامة ممتدة، وقوة وشجاعة وأرسل عـبد الرحـمن إلى زعـماء الأمـويين بالأندلس الكتب مع مـولاه «بدر» ودخل الأندلس وأعلنت القبائل اليمنية ولاءها له.

وأخذ عـبد الرحـمن يستـعد للنضـال ويجمع الجنـد، واستْقـبل بمظاهر الحـماس والترحيب فى إشبيلية وتهيأ للإغارة على قرطبة.

وكان (يوسف بن عبد الرحمن النهرى) عامل البلاد من قـبل العباسيين يستعد للقاء عبد الـرحمن الأموى للقضـاء عليه وعلى جيوشـه، وتسابق الجيشـان على نهر الوادى الكبيـر، ولكن عبـد الـرحمن استطاع القـضـاء علـى جـيش يوسـف بن عبـد الرحمن النهرى، ودخل قرطبة ظافرًا منتصراً فى أقل من سنة، واستطاع أن يقضى على منافسيه، وأن يوحد بـلاد الأندلس تحت رايته، واسـتطاع بقوته ودهائه وعـزيمته أن يتـغلب على الصعاب وأن يقر الأمن فى ربوع البلاد.

ولكـن الخلـيفـة العـباسـى أرسـل « ابن المغيـث اليـحصبى » مـن إفريقيـة لـيقتل عبد الرحمن ولكن عبد الرحمن استطاع قتل نحو سبعة آلاف.

ولم يستطع(أبو جعـفر المنصور) إعادة سلطان العبـاسيين على بلاد الأندلس الغنية أمام قوة عبد الرحمن ولكن عمل على استمالته وأظهر إعجابه به.

وهذه مقدرة عبد الرحـمن، فمع أنه طريد إلا أنه استطاع أن يؤسس هذا الملك فى تلك البلاد.

وقد سأل (أبو جعفر المنصور) أصحابه : أخبرونى عن صقر قريش من هو ؟ قالوا: أميـر المؤمنـين الذى راض الملك، وسكَّن الزلازل وحـسَّن الأدواء وأباد الأعداء. قال :

ما صنعتم شيئاً، قالوا : فمعاوية، قال : ولاهذا ، قالوا : فعبد الملك بن مروان، قال: ولا هذا، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن معاوية الذى عبر البحر، وقطع القفر ودخل بلداً أعجمياً مفرداً، فمصَّر الأمصار وجنَّد الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وقوة شكيمته. . . .)

ولكن(شرلمان) ملك الفرنجة أنفذ جيشاً توغل فى الأقاليم الشمالية من بلاد الأندلس حتى بلغ (سرقطة)، ولكن هذا الجيش أصيب بخسائر فادحة.

وبذلك كان عبد الرحمن الداخل يصارع خليفة المسلمين وشارل ملك الفرنجه.

واتخذ مدينة قرطبة حاضرة لإمارته وبنى فيها القصر والمسجد الجامع، وجعل قصر قرطبة القديمة مقراً لإمارته، وأجرى المياه العذبة فى قنوات الرصاص تؤدى بها إلى المصانع، كما ألحقت بهذا القصر القصور الفخمة والبساتين النضرة، كالكامل والمجدد والحائر والروضه والزاهر والمعشوق والمبارك والرستق وقصر السرور والتاج والبديع كما بنى قصر الرصافة بقرطبة.

وكان جامع قرطبه الذى بناه عبد الرحمن الداخل سنه ١٦٨ هـ من أجمل المساجد، وقد أنفق على بنائه ثمانين ألف دينار، وكان عبد الرحمن ينظر فى المظالم بنفسه وكان ينصف الضعيف على القوى.

وقد حكم بلاد الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ومات سنة ١٧٢ هـ وقد عاصر من الخلفاء العباسيين (المنصور والمهدى والرشيد) وعدل بين الناس فأحبته الرعية.

يقول فيه أبو حيان : « كان عبد الرحمن راجح الحلم، واسع العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئاً من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لايخلد إلى الراحة، ولا يكل الأمور إلى غيره، شجاعاً مقداماً، بليغاً مفوهاً، طلق اللسان . . ».

الفهــرس